جامعـــــــــــــة غـــردايـــــة

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

السياسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية

(شارل دي فوكو أنموذجا)1901م-1916م

مذكرة تخرج مقدّمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

حكيمة شيتـــورة

قريـــزة

إشراف الدكتـــور: صـــالح بوسليـــم

المشرفة المساعدة الأستاذة:ربيـــــعة

لجنة المناقشة

د/ الشافعي درويش رئيسا

أ.د بوسليم صالح مشرفا ومقررا

أ/ قريزة ربيعة مشرفا مساعدا

أ/ محمة عائشة مناقشا

الموسم الجامعي: 1436-1437ه/ 2015-2016 م

بسم الله الرحمن الرحیم

إهداء

إلى روح جدي الغالي

-رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه-

إلى جدتي أطال الله في عمرها

إلى أمي الغالية وأبي العزيز

-حفظهما الله-

إلى من شجعتني على التوفيق والنجاح

أختي الأستاذة أم هاني

إلى أختي الصغيرة بشرى

إلى جميع إخوتي وزوجاتهم

إلى كل معلمة ومعلم

أضاء لي حرفا على طريق

النور والعلم

كلمة شكر

أشكر الله العلي القدير الذي وفقني لإنجاز هذا العمل شكرا يليق بجلاله وعظيم سلطانه ،كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور صالح بوسليم والأستاذة ربيعة قريزة على صبرهم وتحملهم معي عناء إنجاز مذكرتي ،التي تميزت بتوجيهاتهم الدقيقة وملاحظاتهم القيمة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى:

-جميع المشرفين على المركز الثقافي للوثائق الصحراوية (péres Blancs du Centre culturel et de documentation Saharienne à Ghardaia)

- المشرفين على الهيئة الوطنية لترقية الصحة وتطوير البحث العلمي :جمعية Forem بالمنيعة .

- المشرفين على مكتبة مديرية المجاهدين بغرداية.

- المشرفين على متحف المجاهدين بمتليلي.

كما أتقدم بالشكر إلى جميع أساتذتي من مرحلة ليسانس إلى الماستر : د/ بوسعد الطيب ، د/ بن خروف عمار ، د/ سعيود إبراهيم ، د/ مديني بشير ، د/ بن علي الطاهر ، د/ تكيالين محمد ، د/ حوتية محمد، د/عواريب لخضر، أ/ الشافعي درويش ، أ/ جعفري أحمد ، أ/ بن قومار جلول ،أ/محمة عائشة ،أ/زناتي عامر ، .....

وفي الأخير أتقدم بالشكر لكل من وجهني ولو بكلمة طيبة

قائمة المختصرات

أ/- العربية :

المختصرات	الأصل
ج	الجزء
د	الدكتور
س	السنة
ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
م	الميلادي
مج	المجلد
ه	الهجري
تر	ترجمة
تع	تعريب

ب/- الأجنبية:

المختصرات	الأصل
N	Numero
P	Page
Imp	Imprimerie
Ibid	Au mème endroit
Doc	Document
Op cit	Ouvrage précédemment citéé

مقدمة

يعتبر موضوع التنصير في الجزائر من المواضيع الهامة و الحساسة والجديرة بالبحث والدراسة، وقد ارتبط بالإستعمار الأوروبي ،كما تبنته ورعته في الوقت ذاته الإدارة الفرنسية بالجزائر ،وذلك من أجل هدم كل مقومات الشعب الجزائري في إطار حملة صليبية حاقدة على الإسلام والمسـلمين ،فبـذل القائمون على الكنيسة المسيحية جهودًا معتبرة من خلال البعثات الإستكشافية،التي كانت تحمـل في طياتها أبعادًا روحية وثقافية تحمل الحقد على المسلمين. فبعد أن أخضعوا منطقة الصحراء وتمكّنوا من التوغل فيها،بدأ الفرنسيون في تطبيق إجراءات ترمي إلى محاربة اللغة العربية ومحاصرة الإسلام وتقسيم الشعب الجزائري .

وتنفيذًا لهذه السياسة بادر الأب شارل دي فوكو للعمل التنصيري ،فرأى أن انتصـار المسـيحية حتمية لامفر منها ،ورأى أن أقصر طريق إلى ذلك ،هو الإندماج في حياة السكان المسلمين ،وهذا ما سجّله في إحدى رسائله بقوله :"لنعمل على أن تكون حياتنا قدوة لهم"[1]،وبالفعل رابط في الصحراء من بني عباس (بشار) إلى منطقة الهقار ليُبشر بالمسيحية في أوساط توارق منطقة الهقار،وعليه اخترت عنوان مذكرتي الموسومة بـــ:

السياسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية –شارل دي فوكو أنموذجا–(1901م–1916م)

1– أسباب ودوافع اختيار الموضوع :

هناك مجموعة من الدوافع الذاتية والعلمية أوجزها فيما يلي:

أ/– الذاتية :

تعود أسباب إختياري لهذا الموضوع بالذات إلى مايلي :

–رغبتي في ولوج المواضيع التي تحتاج دراسة مركزة ،فرغم صعوبة الموضوع إلا أن الشوق والفضول دفعني إلى التطرق إليه.

–كون هذا الموضوع من المواضيع التي تستهوي الباحث وتدفعه إلى استقراء مايتعلق به من أرشيف.

(1)الشيخ أبو عمران: **قضايا في الثقافة والتاريخ**، ط2، منشورات ثالة، الأبيار (الجزائر)، 2006م،ص 129.

-التشجيع الذي وجدته من قبل الأستاذ الدكتور بوسليم صالح والأستاذة قريزة ربيعة اللذين أشـــرفا على هذا العمل ووجهاني إلى البحث الدقيق عن حقيقة الراهب شارل دي فوكو.

ب/-الموضوعية :

- الرغبة الملحة في إظهار العلاقة الوطيدة بين السياسة التنصيرية والمشروع الإســـتعماري الفرنســـي بالجزائر اذ أنهما وجهان لعملة واحدة .

- المساهمة في إعداد الدراسات والرسائل الجامعية التي تتناول البحث في السياسة الإستعمارية الفرنسية بالصحراء الجزائرية وإثراء مكتبة جامعة غرداية.

- تسليط الضوء على طبيعة شخصية شارل دي فوكو التي حملت في ظاهرها طابع إنساني وفي باطنها سياسة تنصيرية حاقدة على الإسلام والمسلمين بغية تحقيق أهدافها الدينية ومخططها الإستعماري.

2-الإشكالية:

تتركز إشكالية الدراسة في السؤال الآتي :

ما مدى نجاح أو إخفاق شارل دي فوكو في سياسته التنصيرية في الصحراء الجزائرية؟ .

وتتفرع منها مجموعة من التساؤلات الآتية:

- فيما تمثلت البعثات والمشاريع الفرنسية الأولى في الصحراء ؟

-كيف وصلت حركة التنصير إلى الصحراء ؟

-فيما تمثل نشاط فرقة الآباء والأخوات البيض ؟

-من هو شارل دي فوكو ؟

-ما سبب اختيار دي فوكو لمنطقة الصحراء؟

-فيما تمثل نشاط شارل دي فوكو التنصيري في منطقتّي بني عباس والهقار؟

-كيف كان رد فعل سكان الصحراء على نشاطه؟

- ما مدى نجاح أوإخفاق دي فوكو في سياسته التنصيرية ؟

3-الهدف من الموضوع :

الهدف من دراسة الموضوع هو محاولة تتبع مسار البعثات الإستكشافية في الصـــحراء الجزائريـــة وإبراز إستراتيجية فرنسا التوسعية في الصحراء الجزائرية واستظهار الكيفية التي مكنت حركة التنصير من بسط نفوذها في الصحراء ، ،وإبراز مسار الغزو الروحي الديني والعسكري لشـــارل دي فوكـــو ،وتتبع رد فعل السكان على نشاطه التنصيري ،وإبراز مدى نجاحه أو إخفاقه في مهمته التنصيرية .

4 – المنهج المتبع :

نظرًا للجوانب المتعددة في دراسة هذا الموضوع الـــذي يتطلـــب جهـــدًا لمعالجـــة الكـــثير مـــن الإشكاليات، فقد اتبعت المنهج التاريخي التحليلي المناسب للموضوع، إضافة إلى المنـــهج التـــاريخي الوصفي من خلال سرد الوقائع و الأحداث التاريخية حسب المادة العلمية التي تم جمعهاو هو يعتمـــد أساسا على التسلسل التاريخي للأحداث.

5 – خطة الموضوع :

قسّمت الموضوع إلى مقدمة ،وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول ،وخاتمة ،ثم ذيلتها بملاحق توضيحية :

الفصل التمهيدي بعنوان: **اهتمامات الفرنسيين بالصحراء الجزائرية** ،تناولت فيه الإهتمامـــات الأوروبية في الصحراء الإفريقيةالكبرى خلال القرن 19م،ثم تطرقت إلى البعثات الاستكشافية والغزو الإستعماري للصحراء ثم تناولت مشاريع خطوط السكك الحديدية للنقل الصـــحراوي باعتبارهـــا أعطت دفعا قويا للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية .

الفصل الأول جاء بعنوان: **السياسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية**،تناولـــت فيـــه النشـــاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867-1892)انطلاقا من التعريف بشخصيته ثم نشاطه التنصيري في منطقة القبائل ثم امتداد نشاطه التنصيري إلى الصحراء الجزائرية ،كما استعرضت في هذا الفصل نماذج من نشاط فرقة الآباء والأخوات البيض في الصحراء من خلال التعريف بجمعية الآبـــاء والأخوات البيض،ثم تناولت وصول الآباء والأخوات البيض إلى ورقلة وتقرت وتنصيبهم في ميـــزاب

والمنيعة ،كما تناولت وصولهم إلى عين صالح والهقار ،وفي الأخير تطرقت الى ميادين نشـــاط الآبـــاء والأخوات البيض .

الفصل الثاني جاء بعنوان : **شارل دي فوكو حياته وآثاره** ،تناولت في هذا الفصل جوانـــب مـــن حياته بداية من مولده ونشأته ثم حياته العلمية والعسكرية ثم تطرقت إلى رحلاته التي أظهرت نوايـــاه وخدمته للإحتلال بداية من رحلته إلى بلاد المغرب والجنوب الجزائري ثم إلى بلاد الشام والأراضـــي المقدسة ،كما تناولت المخلفات والآثار التي زكت نشاطه .

الفصل الثالث خصّصته **للنشاط التنصيري لشارل دي فوكو في الصحراء الجزائرية**، انطلاقا من مبادئ فوكو التبشيرية الإستعمارية التي ركز عليها ،ثم تطرقت إلى استقراره واندماجـــه في المجتمـــع الصحراوي واستمالته لقلوب السكان ،وركزت في هذا الفصل على مسألة جوهرية من خلال إبراز سياسته التنصيرية والإستعمارية في الصحراء الجزائرية ،وفي الأخير تناولت رد فعل ســـكان الهقـــار ونهايته.

وجاءت خاتمة الدراسة مبرزة لأهم ماتوصلت إليه من ملاحظات واستنتاجات .

6- التعريف بأهم المصادر والمراجع المعتمدة:

لقد اعتمدت في الدراسة على جملة من الوثائق والمصادر والمراجع ،من أبرزها:

أ/-الوثائق الأرشيفية المرقونة والمنشورة :لعل من أهمها علبة الأرشيف الخاصة بمدرسة الآباء **البيض 1884-1976م** ،والتي لها علاقة بالنشاط التنصيري للكاردينال لافيجري،وقد اعتمـــدت عليهـــا في نشاط الآباء والأخوات البيض في الصحراء الجزائرية.

ب/-المصادر المعربة والأجنبية:

وهي في أغلبها مذكرات كتبها شارل دي فوكو من أهمها :

كتاب شارل دوفوكو :التعرف على المغرب1883-1884م :وهو من أضخم الكتـــــــــب التي ألفها يحتوي على جزأين :الجزء الأول خاص بسير الرحلة والجزء الثاني عبارة عن خرائط رسمها شارل دي فوكو ،أفادني في تتبع مسار رحلته إلى المغرب .

كتاب charles de foucauld: carnet de beni abbes 1901-1905،وهو مصـــدر مهم احتوى على يوميات شارل دي فوكو في بني عباس ،وقد أفادني في كيفيـــة اســـتقراره في بـــني عباس .

كتاب Charles de Foucauld: Carnets De Tamanrasset 1905-1916

تحدث عن الظروف التي أدت إلى استقراره في الهقار ،ووظفت هذا المصدر فيما يخص اســـتقراره في الهقار.

جـــ/-المراجع :

وهي كتابات لها أهمية وجديرة بالإعتماد ،وأهم المراجع التي اعتمدت عليها :

-كتاب **عميراوي وآخرون :السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916** الذي سلط فيه الضوء على شخصية شارل دي فوكو ،وركز على سياسته التنصيرية ،وقد أفـــادني في النشـــاط التنصيري لشارل دي فوكو .

-كتاب **حسن مرموي : التوارق بين السلطة التقليديـــة والإدارة الفرنســـية في بدايـــة القـــرن العشرين**،تحدث عن العلاقة بين الفرنسيين والتوارق ،وقد استخدمته في تحليل سياســـته التنصـــيرية والإستعمارية في الصحراء الجزائرية.

-كتاب **عبد السلام بوشارب :الهقار أمجاد وأنجاد** الذي عالج العلاقة التي ربطت شارل دي فوكـــو بالإستعمار الفرنسي ،وقد وظفته فيما يخص المبادئ التبشيرية الإستعمارية التي انتـــهجها ورد فعـــل سكان الهقار على سياسته.

د/- المذكرات و الرسائل الجامعية:

اعتمدت على العديد من المذكرات والرسائل الجامعية أذكر واحدة منها على سبيل المثال:

مذكرة **الطالب الحاج ابراهيم الحاج محمد :نشاط المؤسسة التنصـــيرية في الصـــحراء الجزائريـــة 1868-1916(مزاب والهقار نموذجا)**،وقد اعتمدت عليها في العنصر الخاص بإنشاء النيابة والمحافظة الرسولية للصحراء.

هـــ/-المقالات العربية:

لقد اعتمدت على مجموعة من المجلات التي احتوت على عدد من المقالات ،التي لها صـــلة بالسياســـة التنصيرية في الصحراء الجزائرية ،خاصة تلك التي دونت بأقلام باحثين ومختصين وأضافت معلومـــات جديدة ،ومن بين هذه المجلات :**الأصالة** ،**الثقافة** ،**المجلة التاريخية المغربية**، وكلها ذات أهمية بالنســـبة للموضوع المطروق.

7- الدراسات السابقة :

هذا الموضوع سبق التطرق إليه في الدراسات الجزائرية التي قُدمت عن الصحراء ومنها :

-الكتاب الذي قدّمه حسن مرموي :التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسيـــة في بداية القرن العشرين ،وقد كانت دراسة مهمة حيث تطرق فيها لمختلف جوانب حياة شارل دي فوكو ومـــدى تأثيرها على المجتمع التارقي.

-الدراسة التي قدمها عميراوي احميدة في كتابه:مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ،حيث ركّز فيها على اهتمام الأب دي فوكو بالصحراء الجزائرية والنتائج التي حقّقها.

-الكتـــاب الذي قدّمه الشيخ أبوعمران :قضـــايا في الثقافة والتاريخ، وهو عبارة عن مجموعة مـــن المقالات ،وقد تطرق في إحدى مقالاته إلى رسالة فوكو التنصيرية.

8- الصعوبات :

لايخلو أي بحث أكاديمي من الصعوبات والعراقيل ،ولعلّ من أهمها:

- صعوبة ترجمة المصادر والمراجع الأجنبية وكيفية التعامل مع نصوصها التي تُظهر نشاط التنصير على أنه فعل إنساني وحضاري.

-نقص المصادر والمراجع العربية المتحدثة عن التنصير في الصحراء والراهب شارل دي فوكو خاصة.

-صعوبة إجراء مقابلات علمية مع الآباء قصد التزود بمعلومات جديدة تخدم البحث وتثريه في جانبه العلمي والتاريخي.

– قصر المدة الزمنية الممنوحة لانجاز البحث خاصة أن الموضوع جديد بالإضافة إلى الوقـــت الـــذي استهلكته في الترجمة و التعامل مع الوثائق.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذين المشرفين الدكتور بوسليم صالح و الأستاذة قريـــزة ربيعة على قبول الإشراف على هذا الموضوع ،متمنية أن يكون هذا العمل مساهمة إيجابيـــة جـــادة أعطت لمحة عن السياسة التنصيرية للراهب شارل دي فوكو في الصحراء،وهو موضوع معرض للنقص كسائر الأعمال البشرية.

الفصل التمهيدي

اهتمامات الفرنسيين بالصحراء الجزائرية

1-الإهتمامات الأوروبية في الصحراء الإفريقية الكبرى خلال القرن 19م

2-البعثات الإستكشافية والغزو الإستعماري للصحراء

3-مشاريع خطوط السكك الحديدية للنقل الصحراوي

احتدم الصراع بين القوى العظمى لوضع خطط تسعى من خلالها لفرض سيطرتها ،ومن بين الأطراف الفاعلة نجد بريطانيا وفرنسا،هذه الأخيرة التي ظلت المنافس العنيد لنشاط الإنجليز وتوسعهم الإستعماري خارج أوروبا ،كل ذلك جر بالفرنسيين إلى أسلوب الإستكشاف والمغامرة والبحث والنشاط لخدمة منظومتهم الإستعمارية.

1-الإهتمامات الأوروبية في الصحراء الإفريقية الكبرى خلال القرن 19م:

بدأ الاهتمام الأوروبي بالصحراء عندما شرعوا في الكشوف الجغرافية البحرية الإستعمارية خلال القرن الخامس عشر وما بعده، حيث قام أحد المغامريين الجنوبيين برحلة إلى حوض النيجر عبر توات[1] عام 1447م، كما قام البرتغاليون بالدوران حول القارة الإفريقية للوصول إلى بلاد الهند بحثا عن البهارات وغيرها من سلع الشرق الأقصى.

اشتد التنافس الإستعماري في أواخر القرن 18 م ومطلع القرن 19 م بين الفرنسيين والإنجليز والألمان حول القارة الإفريقية ومن أسباب هذا التنافس:

-البحث عن المواد الأولية وإيجاد مجالات للصناعة والتجارة الأوروبية.

-إيجاد مجال لإسكان فائض السكان.

-القيام بدراسات علمية متنوعة: طبيعية وبشرية واقتصادية.

(1) **توات**: إقليم جغرافي شاسع يقع في جنوب غرب الصحراء الجزائرية، وهو يشتمل على عدد هائل من الواحات والقصور تزيد عن الثلاثمائة وخمسين واحة، ومصدر كلمة توات مختلف فيه، فيوردها البعض بمعنى وجع الرجل.ينظر:عبد الرحمان السعدي : **تاريخ السودان**،مطبعة هوداس ،باريس ، 1967م،ص 07 .ويوردها البعض الآخر بمعنى أنها أحد البطون المنحدرة من قبيلة الملثمين سكان الصحراء. ينظر: صالح بوسليم : **إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين18و19**، المطبعة العالمية، غرداية(الجزائر)،2015/1436م ، ص15.

كان الإنجليز سباقين في اهتمامهم بإفريقيا والصحراء بعد تراجع نفوذهم في أمريكا الشمالية وفقدانهم لمستعمراتهم هناك فبادروا بتأسيس جمعية دواخل إفريقيا[1] عام 1788م Assoeiation for the promoting of the discovery of the interior of Africa كلفت هذه الجمعية بتجنيد المغامرين وتوجيههم إلى إفريقيا لاستكشافها وغزوها فجندت عددا معتبرا منهم وكلفتهم بالقيام برحلة إلى أعماق الصحراء[2].

قامت في البداية بإرسال ثلاثة من الرحالين: هورنمان (HornMen) الألماني ولوكاس (Luckas) وليدبارد (Lydbard) في رحلات متتابعة لكنهم ماتوا جميعا فاتجهت أنظارهم بعد ذلك إلى نهر غامبيا لأن البريطانيين كانوا قد أسسوا بها بعض المراكز التجارية.

في جوان 1795 م وصل بارك(Park)إلى ساحل غامبيا ومكث بها حوالي خمسة أشهر في بيزانيا مع تاجر بريطاني يدعى ليدلي(Lydli) له معرفة جيدة بالمسالك الصحراوية فتعلم خلال هذه المدة لغة "الماندينغ" [3]، وصل بارك في بداية سنة 1796 م إلى دينا فتعرض إلى هجوم من طرف قطاع الطرق، حاول الوصول إلى نهر النيجر مع خادمه لكنه وقع أسيرا مدة قاربت الأربعة أشهر [4].

قضى "بارك" مدة سبعة أشهر في مدينة كاماليا ثم غادرها متجهًا إلى بلاده إنجلترا، ولما استقر هناك أنجز عملاً علميًا قدم فيه معلومات هامة وجديدة حول رحلته المتعلقة بالحضارة الصحراوية وإفريقيا فأعطى حقائق جغرافية وحضارية عن إفريقيا وسكانها.

---

(1)اهتم الإنجليز بالصحراء فأسسوا الجمعية الإفريقية (African association) عام 1788 م ،بعد أن جمعوا معلومات عن الصحراء من خلال ما تركه اليونانيون والرومان والعرب. ينظر: إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1983 م، ص 118.

(2) يحي بوعزيز :**مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م، ص ص 74،75 .

(3) **الماندينغ**: هي إحدى القبائل القوية التي تعيش في الداخل وتدين بالدين الإسلامي الحنيف. ينظر: عبد القادر زبادية: **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 151.

(4) Elika M'bokoto: **Des missionaires aux explorateurs, les européens en afrique**, paris(France), 1978, p51 .

ترك كتاب "بارك" صدى واسع وشهرة فائقة لدى الحكومات الأوروبية وخاصة الفرنسية التي كانت تتابع هذه البعثات الإستكشافية لتنافس بذلك الحكومة والأطماع البريطانية[1].

انطلق "بارك" من غامبيا رفقة خمسة وثلاثين جنديا في عام 1805 م ليبدأ مغامرته الثانية فوصلت بعثته إلى باماكو، لكن سقوط الأمطار وتفشي الأمراض والأوبئة في صفوف فرقته وموت العديد من رفاقه جعل الرحلة تتعطل فانقطعت أخباره وعلمت الحكومة البريطانية أنه قد قتل رفقة أصحابه [2].

جهزت بريطانيا رحلات أخرى لاستكشاف الصحراء ومجرى نهر النيجر بعد عام 1815 م فانطلقت البعثات من غرب إفريقيا وشمالها وشرقها منها رحلة الدكتور آودني (Oudnex)ورحلة ريتشار دولاندر (Richard Dolnard)الذي اكتشف مصب نهر النيجر وخليج غانا عن طريق الصدفة وكتب كتابه الذي نشره سنة 1832م في ثلاث مجلدات كشف فيه عن أسرار مجرى نهر النيجر.

كلفت الحكومة البريطانية في عام 1825م الماجور ألكساند قوردون لاين (Le Maj Gordon Laing) للقيام برحلة إلى إفريقيا فغادر طرابلس في ماي 1825م وزار غدامس[3]، قاده الشاب عثمان بن الحاج بكري بن الحاج الفقيه إلى عين صالح ثم إلى تمبكتو [4]، ثم غادرها بسرعة لكونه مسيحي غير مرغوب فيه كما اعتُقد أنه من الجواسيس الذي يكشفون أسرارهم ويقدموها

(1) إبراهيم مياسي: **الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837–1934**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م ،ص ص 400،401 .

(2) ابراهيم مياسي: المرجع نفسه،ص 401 .

(3)**غدامس:** إحدى المدن الحيوية والإستراتيجية تقع حاليا على الحدود الليبية الجزائرية، نظرا لموقعها الجغرافي وتوفرها على عناصر الحياة فإنها شكلت قاعدة تجارية وعسكرية عبر مراحلها التاريخية التي مرت بهم. ينظر: إسماعيل العربي: **تاريخ الرحلة والإستكشاف في البر والبحر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 311.

(4) **تمبكتو:** إحدى المدن الإستراتيجية والحيوية تقع على ضفاف نهر النيجر، ويقال أن اسمها مشتق من بئر بكتو وهو إسم لامرأة تارقية، بفضل موقعها الإستراتيجي شكلت سوقا تجارية صحراوية للتجار من مختلف الجهات. ينظر: إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى... ،مرجع سابق ، ص ص 311-312 .

لقوات أجنبية معادية، فعزم على التوجه إلى أروان بصحبة "أحمد عبده" ابن الرحال وفي الطريق قتله مرافقه لأسباب مجهولة [1].

أما الفرنسيون فقد بدأوا مغامرتهم في الصحراء الإفريقية منذ رحلة المغامر الفرنسي رونيه كاييه (René caillé) [2]، الذي كان منذ صغره شغوفا بالسفر والرحلة والترحال فتمكن ما بين سنوات 1825-1827 م من الوصول إلى مدينة تمبكتو التي حل بها يوم 20 أفريل 1828م ومكث بها أربعة عشر يوما فأعجب بالمدينة وبمنازلها وسكانها ودون كل ذلك في مذكراته .

غادر "كاييه" تمبكتو يوم 4 ماي 1828م على ظهر جمل مع قافلة متوجهة إلى المغرب الأقصى عبر الجنوب الغربي الجزائري، وفي 12 أوت وصل إلى مدينة فاس ومنها إلى مدينة مكناس وأخيرا إلى مدينة الرباط، وفي 27 سبتمبر 1828 م أبحر "كاييه" إلى ميناء تولون بفرنسا [3].

قدّم "رونيه كاييه" معلومات جغرافية وعرقية وثقافية من عادات وتقاليد وطرق معيشة السكان إلى المصالح المهتمة باحتلال الصحراء وأدغالها، هذه المعلومات ساعدت فرنسا الإستعمارية على رسم مخططاتها الحربية للتوسع في الجنوب الغربي الجزائري [4].

تمحورت مخططات فرنسا في ثلاث محاور رئيسية وبارزة تمثلت فيما يلي:

1 الهدف الأساسي يتمثل في الغزو والتوسع الإستعماري الذي اعتادوا نعته "بالإستكشاف" واقترن هذا الغزو والتوسع الاستعماري بمحاولة التعرف على إمكانيات الصحراء الإقتصادية والبشرية لاستغلالها واستثمارها.

---

(1) يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص 77.

(2) **رونيه كاييه:** نشأ في أسرة فقيرة فلم يتمكن من تحقيق رغباته، كما أنه لم يتمكن من إتمام تعليمه فاضطر إلى الإشتغال من أجل كسب قوته، إمتهن الإسكافية ولكنه سرعان ما كره هذا العمل فتركه وسافر إلى الخارج. ينظر:
Elika M'bokoto: Op cit, p62.

(3) إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 405.

(4) إبراهيم مياسي: **توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996م، ص 77.

2- برز كنتيجة للغزو والتوسع الإستعماري وتمثل ذلك في محاولتهم وضع شبكة من طرق المواصلات الحديدية والبرية وأسلاك الهاتف لتسهيل سبل التنقل في ظروف آمنة، حيث قاموا بدراسة المظاهر الطبوغرافية والتضاريسية والمناخية لتحديد المناطق التي تصلح لمد هذه الخطوط الحديدية وشق الطرق البرية فاستغلوا طرق القوافل الصحراوية واستفادوا منها في مشاريعهم الإستعمارية، كما استفادوا من كتب الرحالة العرب وكبار المؤرخين [1].

3- برز هذا كنتيجة للمخططات السابقة ولخدمتها وتدعيمها، وتمثل ذلك في محاولة خلق بحر داخلي صحراوي من أجل إحداث تغيير جذري في الظروف الطبيعية والمناخية القاسية للصحراء فاتجهت أنظارهم إلى أحواض الجريد التونسي وأحواض بسكرة وواد سوف في الطرف الشمالي لحوض ايغرغر لاتخاذها نواة لهذا البحر الداخلي الصحراوي [2].

2-البعثات الإستكشافية والغزو الإستعماري للصحراء:

قبل الإحتلال الفرنسي للجزائر أرسلت فرنسا العديد من البعثات والطلائع الإستكشافية للجزائر تحت غطاءات مختلفة ،وما الدور الذي قام به الضابط "بوتان"[3] عندما كلفه وزير البحرية بالتوجه إلى مدينة الجزائر لجمع المعلومات حول إمكانياتها الدفاعية إلا دليلا على ذلك ،ولا ريب في أن هذا التقرير الذي قدمه إلى الوزارة الحربية قد ساهم فيما بعد في احتلال الجزائر بنزول الإحتلال في منطقة سيدي فرج .

---

(1) يحي بوعزيز: **"اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه ومدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها"**، الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي، وزارة الشؤون الدينية، تامنراست، 1399ه/1995م، ص 45.

(2)يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر ....،مرجع سابق ، ص 78 .

(3) **بوتان:** ضابط فرنسي تم تعيينه في هذه المهمة الخطيرة بأمر من نابليون بونابرت الذي كان يتطلع لاحتلال الجزائر لولا الظروف الصعبة التي عرفتها فرنسا آنذاك، وصل إلى الجزائر يوم 1808/05/24 على متن سفينة تسمى لوركان ،حيث ظلت ذاكرته محتفظة بما دونه في تقريره السالف. ينظر: احميده عميراوي وآخرون: **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)**،دار الهدى للطباعة والنشر ،عين مليلة(الجزائر)،2009 م ،ص64.

تمكن "رونيه كاييه" من الظفر بلقب أول مغامر فرنسي في عمق الصحراء الجزائرية، إذ عبرها انطلاقا من السنغال حتى مدينة تمبكتو فاكتفى بالوصول إليها ومنها توجه نحو المغرب[1].

في مطلع الخمسينات بدأت الرحلات الفرنسية تداد نحو الجنوب الجزائري فقام الدكتور الألماني هنري بارث (Henri Barth) [2] برحلتين رئيسيتين الأولى في سنة 1849م والثانية في سنة 1855م من طرابلس عبر غدامس وغات بفزان إلى تشاد وتمبكتو عبر قورارة وتوات وتيديكيلت، وكان برفقته صديقيه جيمس ريتشاردسون (James Richardson) وأوفروانغ (Overwng) اللذين فقدهما في هذه المغامرة، وفي سنة 1856م تمكن المغامر بونمان(Ponman) من الوصول إلى غدامس عبر منطقة سوف[3].

ومن أهم هذه البعثات الإستكشافية بعثة هنري دوفيرييه (Henri Duverier) [4]،بالرغم من نجاح بعثة إسماعيل بوضربة إلى غات إلا أنّ الوالي العام للجزائر لم يطمئن لنتائج هذه البعثة لكون بوضربة عربيًا مسلمًا مثلهم لهذا رشح "دوفيرييه" للقيام بهذه المهمة[5].

قبل أن يباشر "دوفيرييه" رحلاته الرسمية قام برحلة إستطلاعية إلى مدينة القليعة لأول مرة التي تنكر له سكانها، وبهذا الصدد يقول: "قد تبدو رحلتي إلى القليعة لأول مرّة هزيمة حيث أنني

---

(1) عميراوي وآخرون: المرجع السابق ، ص 64.

(2) **هنري بارث:** تعلم في جامعة برلين ،تجول في ضفتي حوض البحر الأبيض المتوسط راجلًا مما جعله يكتسب خبرة في المشي، كما تعلم اللغة العربية لذلك اتصلت به الجمعية الإنجليزية من أجل تنظيم التجارة لها في السودان والصحراء. ينظر :
M'Bokoto : opcit, pp 67-68 .

(3) يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر .....، مرجع سابق ،ص 80.

(4) **هنري دوفيرييه:** ولد في مدينة باريس سنة 1840 م، درس التجارة في ألمانيا وهو لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره، نظرًا لذكائه الخارق واصل دراسته في هذا التخصص في إحدى المدارس الألمانية في الفترة ما بين 1855-1857 إلا أنه لم يواصل مشواره التعليمي نظرا لسيطرة طابع حب المغامرة على شخصيته في المناطق الصحراوية. ينظر : إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى..... ، مرجع سابق، ص 84.

(5)Augustin Bernard,N.Lagroix: **Historique Pénétration Sahrienne**, Imprimeur Photograveur, Alger, 1900,p43.

طردت من هذه المدينة واضطررت تحت التهديد إلى الخروج منها ليلاً في ظروف مشينة ومع ذلك فأنا أعتبر هذه الرحلة ناجحة..." [1].

بدأ "دوفيرييه" رحلته الصحراوية من سكيكدة يوم 08 ماي 1859م باتجاه مدينة بسكرة عبر قسنطينة وباتنة لكنه غادرها يوم 13 جوان ليحط رحاله بالقرارة بميزاب، ومن هناك توجه إلى غرداية التي وصلها يوم 21 جوان ليتجه بعد ذلك إلى متليلي وهناك التقى بالعديد من سكان التوارق، ومنها توجه نحو المنيعة التي وصلها في الفاتح من سبتمبر 1859م التي لم ترحب به فطُرد بالقوة منها وعلى إثر ذلك رجع إلى غرداية ومنها إلى الأغواط فتعرف على العديد من العادات والتقاليد الصحراوية[2].

غادر "دوفيرييه" الأغواط باتجاه مدينة قسنطينة لأخذ قسط من الراحة وبعد استراحته توجه نحو مدينة بسكرة في أوائل شهر فيفري 1860م، ثم إلى واد سوف وبعدها عرج إلى الجريد في الجنوب التونسي ومنها توجه نحو قابس عن طريق شط الجريد وقبيلي ونفزاوة، إلى أن دخل بسكرة في العاشر من شهر أفريل، وأثناء وجوده في مدينة بسكرة كلفه الوالي العام للجزائر آنذاك بالإستعداد للقيام برحلة نحو بلاد التوارق[3].

دخل "دوفيرييه" مدينة غدامس يوم 11 أوت 1860م ،مكث فيها مدة طويلة فتعرف على طبائع السكان من عادات وتقاليد، كما التقى بشخصيتين رئيسيتين من شيوخ التوارق هما : "الشيخ عثمان" وزعيم التوارق الأمينوكال "ايخونخن"، وفي هذه الأثناء وصلته أنباء تتحدث عن تطلع نابليون الثالث إلى إعداد كتاب حول الصحراء الجزائرية، فأراد أن يكون هو ذلك الشخص الذي يحقق له هذا الهدف إلا أن مرضه الشديد وفقدان ذاكرته أضناه عن تحقيق ذلك، ورغم ذلك فقد قدّم

(1) إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى .....، مرجع سابق ،ص 84.

(2) إبراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي.....، مرجع سابق ،ص 54 .

(3) اسماعيل العربي : المرجع السابق، ص 86 .

معلومات هامة وقيّمة حول هذه المناطق في كتابه "توارق الشمال" (Les Touareg Du Nord)[1].

قام كل من الرائد كولونير (Colonier) والملازم بوران (Borin) التابعان لدائرة الابيض في شهر نوفمبر 1860 م بمحاولة فاشلة لاكتشاف تينقورارين وتوات، فقد أثار وجودهما نوعًا من الإستياء والتذمر في أوساط السكان مما جعلهم يغادرون تميمون إلى تاوريست ثم تيمي بتوات[2].

مع مطلع الستينات (1862-1867م) بدأت رحلة جيرهارد روهلف[3] (Gerhar Rohlfes) فانطلق متوجهًا نحو مدينة تافيلالت المغربية، وبالرغم من الإحتياطات التي قام بها إلا أنه أخذ أسيرًا لديهم في البداية ثم قاموا بإطلاق سراحه فانطلقت رحلته من تافيلالت نحو فيقيق ووهران، وفي الرحلة الثانية انطلق "روهلف" من طنجة إلى واد زيز عبر الأطلس ومن هناك إلى واد الساورة، فإيغلي وبني عباس ،وبعدهما توجه نحو أدرار ومن هناك عرج إلى الشرق، ودخل إلى عين صالح يوم 17 سبتمبر 1864م وبذلك يكون "روهلف" أول أوروبي يخترق الصحراء من الغرب إلى الشرق في تلك الفترة[4].

نظرًا للأزمة المالية التي كان يمر بها مجلس الشيوخ في لندن لتزويده بمبلغ من المال توجه "روهلف" نحو ليبيا عبر الصحراء الجزائرية، وبمجرد وصوله إلى طرابلس توجه نحو مدينة تمبكتو عبر

(1) عميراوي وآخرون: المرجع سابق، ص ص 67، 68 .

(2) ابراهيم مياسي: الإحتلال الفرنسي .....،مرجع سابق، ص ص 413،414 .

(3)**جيرهارد روهلف**: ولد في سنة 1832 م بضواحي مدينة بريم زوال تعليمه الأول في مسقط رأسه، إنخرط في صفوف الجيش ونال رتبة ملازم أول، ثم انخرط في سلك اللفيف الأجنبي لحبه المغامرة في الصحراء الجزائرية، تعلم اللغة العربية في بلاد القبائل، وفي سنة 1861م غادر سلك اللفيف الأجنبي نحو مدينة طنجة عبر إحدى البواخر وكان حلمه الوصول إلى مدينة تمبكتو. ينظر:عبد القادر بوباية: "**دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية**" ، مجلة عصور ،ع 4-5 ،س3 ،مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي، الجزائر، ديسمبر 2003– جوان 2004 /1424- 1425ه ص 171.

(4) مياسي: المرجع السابق ، ص 417.

منطقة الهقار ثم سافر إلى فزان، ومن هناك توجه إلى تشاد التي وصلها في سنة 1868م ليعود بعدها إلى أوروبا بعد أن قدم معلومات قيمة عن الصحراء الجزائرية وأقاليمها في مذكراته الشخصية[1].

توالت البعثات الإستكشافية في فترة الستينات حيث انطلقت بعثة كل من ميرشار(Mircher) وبولينياك(Polignac) وفاتون (Vatonne) والطبيبين هوفمان (Hoffmann) واسماعيل بوضربة باتجاه غدامس سنة 1862م، وهي البعثة التي أعطت دفعًا قويًا للتوغل الفرنسي في الجنوب قصد السيطرة على الطرق التجارية والثروات الإقتصادية[2].

كما تضاعفت عدد البعثات الإستكشافية خلال فترة السبعينات فقد اقتحم الجنرال "قاليفيه" (Galliffet) مع قوة عسكرية مسافة ست مائة كيلومتر تفصل مدينة بسكرة عن مدينة المنيعة من 20 ديسمبر 1872 م إلى 24 جانفي 1873م للتعرف على هذه المنطقة ثم احتلالها، وقد نبّه الرحالة المغامر "بول سولييه" (Paul Soleillet) السلطات الفرنسية إلى أهمية المسالك التجارية للقوافل وربطها بمستقبل فرنسا في إفريقيا حيث غادر مرسيليا يوم 06 ديسمبر 1872م ليقوم برحلته من الجزائر العاصمة إلى عين صالح التي وصلها في 06 مارس 1873م،يقول في مذكراته مايلي :"اليوم أبدأ الرحلة الإستكشافية الحقيقية ،حيث سأتواجد في أصقاع ليست معروفة كثيرًا ،وسوف أجتاز أرضًا لم تطأها قدم أوروبي" ،لكنه لم يتمكن من دخولها رغم محاولاته العديدة، قدم "سولييه" معلومات هامة حول هضبة تادميت وما جاورها، واستفادت منها السلطات الإستعمارية في توسعها إلى الجنوب[3].

كما تمت في هذه الفترة محاولات إستكشافية أخرى قام بها الثلاثي دورنو (Dournaux) [4] ودوبرة (Dupere) وجوبار (Joubert) ،ذلك أن "دورنو" كانت له طموحات لاكتشاف

(1) عميراوي وآخرون: المرجع السابق ،ص 70 .

(2) عميراوي وآخرون: المرجع السابق، ص 71.

(3) Paul Solelliet :**l 'Afrique Occidental**,**Algérie**,**Mzab**,**Tlidiket**,paris(France),1877 ,P170.

(4) **دورنو** :شغل منصب معلم في منطقة فرندة، كان طموحا إلى حب المغامرات والتعرف على الصحراء الجزائرية، في سنة 1873م عزم على تحقيق هدفه. ينظر : العربي: الصحراء الكبرى .....، المرجع السابق، ص 104 .

الصحراء فالتقى في مدينة قسنطينة باسماعيل بوضربة ليستفيد من خبرته في البعثات الصحراوية ثم توجه نحو بسكرة ومنها إلى تقرت فالتقى "بجوبار" الذي انضم إلى "دورنو" و"دوبرة" نظرا لامتهانه حرفة التجارة، ورغبته في ربط علاقات تجارية مع غدامس وغات[1].

تكفل "جوبار" بتحضير الجمال ولوازم السفر من الوادي، وبعد الاستعدادات اللازمة انطلقت البعثة من مدينة تقرت يوم 01 فيفري 1874م باتجاه غدامس، ولكن أعضاء البعثة افترقوا في الطريق وقتلوا جميعًا، و لم يتركوا أثر عن رحلتهم [2].

نشير أيضا إلى رحلة الدكتور "أوسكار لانز" (Oskar lenz) من طنجة إلى تمبكتو، في خريف 1879م أوكلت له الجمعية الإفريقية لألمانيا مهمة دراسة مختلف مرتفعات الأطلس المغربي والمناطق الجنوبية القاحلة ،فاخترق المغرب الأقصى من طنجة إلى تندوف ومنها إلى تمبكتو، ثم اتجه إلى المراكز الفرنسية بالسينغال حتى شواطئ المحيط الأطلسي[3].

والجدير بالذكر أن هذه البعثات الاستكشافية ساهمت في ظهور فكرة مد خط حديدي عبر الصحراء من أجل متابعة الإستكشافات واستثمار خيراتها، لهذا اتجهت الأنظار إلى إرسال البعثات العلمية للبحث عن أنجح السبل لتحقيق المشروع الفرنسي الاستعماري التوسعي في الجنوب الجزائري[4].

بدأ عهد جديد للعمليات الإستكشافية انطلق ببعثة "فلاترس" (Flatters) [5] إذ قام "فلاترس" برحلتين الأولى من ورقلة إلى الأغواط وتضم عشرة أعضاء وهم "فلاترس" عقيد المشاة والقائد الأعلى

(1) مياسي: الإحتلال الفرنسي ....، مرجع سابق ،ص 61.

(2) عميراوي وآخرون: المرجع السابق، ص ص 71، 72 .

(3)مياسي: المرجع السابق، ص 422.

(4)مياسي: المرجع نفسه، ص 423 .

(5) **فلاترس:** شغل منصب الحاكم العام في منطقة الأغواط وهذا ما ساعده على جمع معطيات هائلة عن الصحراء الجزائرية، وقد كان طموحًا في الوصول إلى مدينة تمبكتو وبلاد التوارق. ينظر:

للأغواط "موسون" (Mousson) نقيب أركان الحرب وبرانجر (Pernger)مهندس الجسور والطرقات وروش (Roche) مهندس المناجم، و برنار (Bernard) النقيب في السلاح المدفعية وغيارد (Guiard) والطبيب ولوشاتولييه (Le Chatelier) وبروسلار (Brosselard) ملازم المشاة و كابايو (Cabaillot) ورابودرن (Rabonrdin) مسيري الجسور والطرقات[1].

انطلقت البعثة من ورقلة بتاريخ 21 ماي 1880م نحو منطقة وادي ميزاب، نزلت في بلدة العطف واتخذت من وادي ميزاب دليل سيرها إلى أن وصلت إلى بني يزقن بغرداية ،قُدمت لها الضيافة عن طريق رئيس الجماعة الحاج يوسف [2]،واصلت البعثة سيرها نحو بلدة بريان لتصل إلى الأغواط يوم 3 جوان 1880م، وبعد هذه الرحلة رجع "فلاترس" إلى باريس ليتلقى المزيد من الدعم المادي والمعنوي على مجهوداته الجبارة في اختراق الصحراء[3].

ونظرًا لهذا الدعم عاد "فلاترس" من جديد إلى الجزائر وكله حيوية ليواصل نشاطه الإستكشافي في الصحراء، ويبدأ رحلته الثانية بالإتجاه نحو بلاد التوارق ،وضع نصب عينه تحقيق ودراسة مشروع إمكانية مد خط حديدي عبر الصحراء الجزائرية فظهرت هذه البعثة بمظهر الإستكشاف العلمي والسلمي فضمت هذه البعثة إحدى عشر فرنسيًا وسبعة وأربعين جنديًا من الأهالي واثنين وثلاثين سائق بعير وثمانية من رجال الشعانبة للإستدلال عن الطريق وأربعة توارق[4].

انطلقت بعثة "فلاترس" من ورقلة في ديسمبر 1880م إلى بحيرة منقنج وتعرفت على إقليم العرق وواد إيغرغر، عبر في رحلته الثانية إلى حاسي نسوكي ومسقم وهضبة تادمايت ووصلت إلى

M.Henri Brosselard: **Les Deux Missions Flatters An Pays Des Tonreg Azdjer Et Hoggar**, Bibliotheque Instructire,Paris(France), 1889, P 101.

(1) أحمد مريوش: "**التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري ورد فعل سكان الهقار 1916م**"، مجلة المصادر، العدد 11، السداسي الأول، 2005م، ص 125.

(2) مياسي: الإحتلال الفرنسي.....، مرجع سابق، ص 423 .

(3) عميراوي وآخرون: المرجع السابق، ص 72 .

(4) Grammont: **"le colonel flatters "** ،Revue Africaine, no 26, 1882, p 78 .

أمقيد يوم 13 جانفي 1881م وعبرت هضبة تينقارت وعين أنزيمان إلى سبخة أمدغور، ومن هناك اتجهت إلى تيماسينين، لكن التوارق قاموا بقتل "فلاترس" ورفاقه عند وصولهم إلى بئر الغرمة يوم 16 فيفري 1881م، وقد مهد مقتل "فلاترس" ورفاقه لسلسلة من الإغتيالات للأوروبيين في الصحراء من طرف التوارق ومنهم الرهبان الثلاثة: ريتشارد (Richarad) وبوبلار (Pouplard) وموراً (Morat) قرب غدامس عام 1881م، والضابطين بالا (Palat) عام 1886م، وكاميل دول (Camille Douls) عام 1889م، والماركيز موري (Le Marquis Mares) قرب غدامس عام 1896م [1].

والجدير بالذكر أن هؤلاء المستكشفين قدموا للحكومة الفرنسية رصيدًا هائلاً من المعلومات عن الصحراء الجزائرية والإفريقية الكبرى وهو ما أدى إلى ازدياد رغبة الحكومة الفرنسية في احتلال المناطق الصحراوية وتسهيل مهمة التوسع العسكري من خلال اتباع طرق ووسائل معينة لنجاح العملية التوسعية، ومن أهم المؤلفات والدراسات التي ساعدت في عملية التوسع نذكر:

الدراسة التي قدمها الضابط أوجيرا(Ogera) بجوانبها العلمية والفلكية والطبوغرافية لواحات الساورة وتوات، وكذلك دراسة باجول(Pargaeaur) للتكوين الجغرافي والطبوغرافي لبعض المناطق الصحراوية،وكذلك دراسة موريس(Mores) [2] لمظاهر الحياة الإجتماعية والثقافية والإقتصادية والدينية لسكان التوارق بالهقار، فضلا عن دراسة الضابط هنري بيسويل (Henri Bissuel) الذي درس عادات التوارق وأسلحتهم وأساليب حروبهم، كما تحدث جاك بوركار (Jacques

(1) يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر..... ، مرجع سابق، ص 84 .

(2) **موريس:** اسمه الكامل "موريس أنطوني أمدو"، ولد بباريس يوم 15 جوان 1858 ابن "الدوق بي فالومبروزا" والآنسة "دي كار" تتلمذ بالمدرسة العسكرية "سان سير"، عُرف بنشاطه وحيويته انتقل إلى مدينة الجزائر ليواصل مغامراته في إفريقيا. ينظر : مياسي:الإحتلال الفرنسي.....، مرجع سابق ، ص 448 .

Bourcart) عن النتائج العلمية والجيولوجية والعسكرية التي توصلت إليها بعثة "أولفيسي" جنـــوب تونس وسوف وتقرت وورقلة[1].

إن الإهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية يعود إلى ما دونه الضابط الفرنسي لابي(labi) الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر، كما استفادوا من دراسة لافازاك (lafazak)التي أنجزهـــا في سنة 1836م والمتمثلة في خريطة عن الصحراء الجزائرية ضمت أهم المعالم الرئيســـية، بالإضـــافة إلى الكتاب الذي ألفه الضابط دوماس (Doumas) بتشجيع من الماريشال "بيجو" سنة 1845م بعنوان الصحراء الجزائرية وهي دراسة قيمة تتحدث عن جغرافية وتاريخية الجنوب القسنطيني[2].

3-مشاريع خطوط السكك الحديدية للنقل الصحراوي:

لقد كان الفرنسيون جادين في الغزو والتوسع في الصحراء الجزائرية فأولوا اهتمامهم بموضـــوع المواصلات الذي يمثل العنصر الأساسي والفعال وكان هدفهم من ذلك ما يلي:

1 -تسهيل عملية تنقل القوافل العسكرية والتمكن من القضاء على بؤر التوتر للمقاومة الجزائرية في الجنوب.

2 -ربط المراكز الإستعمارية ببعضها البعض على المستوى المحلي والدولي ومستعمراتها الإفريقية على المستوى قاري.

3 -تنشيط الإقتصاد الفرنسي والعمل على ازدهاره وخاصة قطاع الخدمات ،وذلك من خلال استغلال الثروات الطبيعية الظاهرية والباطنية التي تزخر بها الصحراء الجزائرية فإقليم قورارة وتوات غني بالمعادن كالفحم الحجري بالإضافة إلى العديد من المعادن الأخرى كالرصاص والزنك والنحاس.

(1) بوعزيز: المرجع السابق ، ص 85 .

(2) عميراوي وآخرون: المرجع السابق، ص 76 .

4 -الحد من تجارة القوافل المغربية والطرابلسية والمالية العابرة للصحراء الإفريقية والمحملة بكل أنواع الزينة كالعطور والروائح والمنسوجات الصحراوية وريش النعام وبعض المعادن الثمينة، ومنافستها في الوصول إلى مصادر هذه الثروة واستغلالها واحتكارها لصالح الشعوب الأوروبية[1].

وللعلم أن الصحراء الإفريقية كانت غنية بطرقها وأسواقها التجارية ومن بين هذه الطرق: طرق باتجاه مدينة تمبكتو مثل طريق فاس ومكناس وطريق آخر من مراكش، وطريق من وهران وأرزيو وطريق من مدينة الجزائر، وطرق أخرى غير جزائرية باتجاه نفس المدينة باتجاه نفس المدينة وهي الطرق التي كشف عنها الرحالة والمستكشفون خلال القرنيين 19م و 20م [2].

دشن الفرنسيون مشاريع النقل الصحراوي بإيعاز من كاباني (GABANIS) الذي اقترح مد خط حديدي يمتد من الجزائر نحو بوسعادة وورقلة على أن يتفرع إلى فرعين رئيسيين: واحد إلى تونس، وطرابلس، والآخر إلى عين صالح، والهقار على أن تبدأ الأشغال بهما مع مطلع سنة 1853م[3].

برز أحد المهندسين الطموحين إلى إنشاء هذه المشاريع وهو المهندس أدولف دوبو نشيل(A.Duponchel) الذي كان متأثرا إلى حد بعيد بمشاريع السكة الحديدية في الولايات المتحدة الأمريكية فرأى ضرورة ربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض بشبكة من الخطوط الحديدية فاقترح خطا يمتد إلى الترانسفال في أقصى جنوب القارة[4]، واستغرقت جهود قرابة ثلاثة عقود[5].

(1) مياسي: توسع الإستعمار الفرنسي ...، مرجع سابق، ص 85 .

(2) بوعزيز: مع تاريخ الجزائر ...، مرجع سابق، ص ص 91، 92 .

(3)F. Cabanis :**Grand chemin de fer d'Afrique** ,parice (France),1852 ,P32.

(4) ينظر الملحق رقم(01):مشروع سكة الحديد العابرة للصحراء سنة1890م .

(5) بوعزيز: المرجع السابق، ص 95 .

تأسست اللجنة الحديدية الصحراوية في سنة 1879م فقررت منح ثلاثة مليون فرنك ذهبي لثلاثة بعثات علمية، ترأس البعثة الأولى بويان(Pouyanne) ومهمتها رسم السكة بوهران نحو توات، أما البعثة الثانية فأشرف عليها شوازي(Chouzay) ،قام أحد أعضائها وهو المهندس جورج رولان(J.Rolland) بدراسة جيولوجية شاملة لمنطقة وادي ريغ، أما البعثة الثالثة فقد كُلف بها الكولونيل "فلاترس" ويمتد طموحها إلى ما وراء الحدود التي أدركها الإحتلال الفرنسي إلا أن القضاء على بعثة "فلاترس" عطلت هذه المشاريع [1].

وبالرغم من الإنتقادات الموجهة لأصحاب هذه المشاريع إلا أنّ ذلك لم يثن كثيرًا من عزيمة الفضوليين الذين كان لهم السبق في الظفر بتحقيق طموحات الإستعماريين الأوروبيين فقد ظهرت عقب ذلك العديد من مشاريع السكة الحديدية ومن بينها نذكر :

-مشروع المهندس بويان (Pouyanne) القاضي بمد ثلاثة خطوط حديدية الأول من تيارت إلى المدية والثاني من سعيدة إلى رأس الماء والمشرية، والثالث من المشرية إلى المقرار والوتيد.

-مشروع دوريان (Derien)القاضي بمد خط حديدي من وهران نحو توات عبر تلمسان وسدو والعريشة وعين بن خليل وعين سفيسة ونخلة إبراهيم.

-مشروع كولونيو(Colognieu)القاضي بمد خط حديدي من مستغانم نحوى تيارت وعين صالح والسرسو والمنيعة والقليعة وتميمون .

-المشروع الثلاثي دوفيري(Duveyrier) وبروسلار(Brosselard) و ماج(Maje) القاضي بإجراء دراسة خاصة تخدم مشاريع الإتصالات بين الجزائر والسنغال بواسطة القطارات الحديدية[2]، واهتم شوازي وباروا (Barois)، ورولان (Rolland)، والطبيب فيجيربير (H.Weisgerber)

(1) عميراوي وآخرون: المرجع السابق، ص ص 80، 81 .

(2) عميراوي وآخرون: المرجع السابق، ص 82 .

بدراسة عملية متنوعة ودرسوا الشروط اللازمة لمد خط حديدي من الجزائر إلى السودان ،واقترحوا خطًا من الأغواط إلى القليعة وتوات، وخطًا من بسكرة إلى ورقلة وايغرير وإلى بلاد التوارق[1].

اقترح الضابط بيرنار(Bernard)مد خط حديدي من بسكرة إلى النيجر وإلى تشاد، ووضع موريس أو نوري (MauriceHonore) رسالة دكتوراه في النقل الصحراوي، أما بوليو(Beaulieu) فقد ألح على ضرورة إنجاز هذه الخطوط الحديدية الصحراوية وهي وجهة نظر إستعمارية بحتة[2].

تواصل الإهتمام بمد هذه الطرق الحديدية الصحراوية طوال الربع الأول من القرن العشرين ومن ضمن الذين اشتغلوا بذلك: الضابط "نو"(Nou) وبير فينكيير (L.Pervinquiere) والمهندس "سولير" (A.Souleyer) ،انصبت جهودهم على الإهتمام بالفوائد والمزايا التي ستُكسب من وراء إنجاز هذه المشاريع (سياسيًا وعسكريًا وإقتصاديًا) [3].

وكانت خلاصة هذه المشاريع كلها في النصف الأول من القرن العشرين ،وضعت نواة لثلاثة خطوط حديدية رئيسية إلى جنوب الجزائر وأعماق الصحراء وهي :

-الخط الأول: يمتد من مدينة قسنطينة إلى ورقلة عبر بسكرة وتقرت .

-الخط الثاني: يمتد من البليدة إلى الجلفة عبر المدية .

-الخط الثالث: يمتد من المحمدية إلى بني عباس عبر سعيدة وبشار[4].

(1) بوعزيز: مع تاريخ الجزائر...،مرجع سابق، ص 96 .

(2) بوعزيز: المرجع نفسه، ص 97 .

(3) مياسي: الإحتلال الفرنسي...، مرجع سابق، ص 441، ص443 .

(4) بوعزيز: مع تاريخ الجزائر.....، مرجع سابق ،ص 98 .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المشروع الخط الثالث قد عرف الكثير من العراقيل والصعوبات التي حالت دون تنفيذه كما تم التخطيط له، عكس بقية مشاريع السكة الحديدية التي أنجزها إنجلترا في كل من الهند وجنوب إفريقيا[1].

وما يمكن قوله في الأخير أن إنجاز شبكة الخطوط الحديدية قد أعطت دفعًا قويًا للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية تحت العديد من الحجج والذرائع هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الخطوط التي تم إنجازها قد ساهمت إلى حد بعيد في نهب واستغلال الثروات الطبيعية في الصحراء الجزائرية، والتي ساهمت فيما بعد في تنمية الإقتصاد الفرنسي وازدهاره على حساب الشعب الجزائري الذي حُرم من استغلاله .

(1) عميراوي وآخرون: المرجع السابق، ص 86 .

الفصل الأول

السياسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية

1-النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867-1892)

أ- شخصية الكاردينال لافيجري .

ب- نشاطه التنصيري في منطقة القبائل .

ج- امتداد نشاطه التنصيري إلى الصحراء الجزائرية .

2-نماذج من نشاط فرقة الآباء والأخوات البيض

أ- التعريف بجمعية الآباء والأخوات البيض .

ب- وصول الآباء والأخوات البيض الى ورقلة وتقرت .

ج- تنصيب الآباء والأخوات البيض في ميزاب والمنيعة .

د- وصول الآباء والأخوات البيض الى عين صالح والهقار.

3-ميادين نشاط الآباء والأخوات البيض

أ- مدارس التعليم العام .

ب-مدارس التكوين المهني والنشاط الفلاحي .

ج- المهام الطبية وتربية الأيتام.

ارتبط التنصير بالإحتلال الفرنسي ارتباطًا وثيقًا وكوّن أحد أسلحته ،بل كان الجبهة التي ارتكز عليها في تدعيم أركانه وتثبيت دعائمه خاصة بعد تغيير الكنيسة لأساليبها القديمة،فأصبحت الكنيسة لاتدعو مباشرة إلى اعتناق المسيحية بل ركزت على الأعمال الخيرية ،ومن خلال ذلك حاول المنصرون تحقيق أهدافهم.

1-النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867-1892م):

أ- شخصية الكاردينال لافيجري :

يعتبر الكاردينال لافيجري من أبرز رجال الدين المسيحيين في القرن التاسع عشر ،كونه أرسى دعائم إستراتيجية دينية مسيحية للتنصير[1] بكامل القارة الإفريقية إنطلاقًا من الجزائر، فعمل على دفع مسار الإرساليات التنصيرية توازيًا مع النفوذ العسكري والسياسي الفرنسي بالجزائر .

ولد شارل أنطوان مارسيال لافيجري (Charles Antoines Martial Lavigerie) في 31 أكتوبر 1825م بمدينة وير (Huier) [2]،تحصل على دكتوراه في الآداب واشتغل أول أستاذ للتاريخ الكنسي في جامعة السربون، عين في عام 1857م مديراً لمدارس الشرق لنشر المسيحية، توجه في عام 1860م إلى سوريا لتوزيع صدقات كاثوليك فرنسا على المسيحيين بعد الفتنة

(1) **التنصير** :لغة : من نَصر، يُنصر، تنصيرًا والتنصر هو: الدخول في النصرانية وفي الحديث: كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه اللذان يهودانه وينصرانه .وتنصر الشخص دخل النصرانية فصار من النصارى لقوله تعالى ،" الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى". ينظر: القرآن الكريم : **سورة المائدة** ،الآية 14.أما اصطلاحا :تعني كلمة التنصير (Mission) إرسالية تنصيرية أو (Missionary) تعني منصر ضمن إرسالية. ينظر: جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري المتوفي سنة 711هـ: **لسان العرب** ،تح: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل ابراهيم ،مج4، ط2، دار الكتب العلمية ،بيروت (لبنان) ،2009م، ص 441.

(2)**مدينة وير**: تقع قرب بايون (Bayoune) على سفوح جبال البرينى جنوب فرنسا. ينظر : مزيان سعيدي : **النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867-1892م**، ط1، الجزائر، 2009م، ص31.

الطائفية بينهم وبين الدروز وهناك اجتمع بالأمير عبد القادر، تقلد لافيجري مناصب دينية عليا اعترافا بخدماته المعتبرة للمسيحية، في عام 1863م عين أسقفا بمدينة نانسي بفرنسا [1].

بعد وفاة أسقف بافي سنة 1866م ترشح لمنصبه بعض القساوسة ونظرا للخلافات التي حصلت بينهم إقترح الماريشال ماكماهون (Macmahon) [2] الحاكم العام للجزائر شارل أنطوان لافيجري (Charles Antoines Lavigerie) عام 1867م، وقد عرفه ماكماهون عندما كان قائدًا عسكريًا في مدينة نانسي، ربط معه علاقات ودية، وافق وزير الحربية على هذا الإقتراح دون تفكير في العواقب، أما وزير الأديان ونابليون الثالث فقد أبديا تحفظهما على اسمه[3].

وصل لافيجري الى الجزائر بعد أن عمل على توسيع النشاط الكاثوليكي في المشرق، تسائل منذ البداية: ((كيف تظل فرنسا في الجزائر 40 سنة دون أن تنجح في تنصير المسلمين)) [4].

مثل لافيجري خلال سنوات 1868-1892م قمة "التنصير " في الجزائر، حيث اعتبرها بوابة تنطلق منها عملية استعمار إفريقيا، وقد عبر عن ذلك في رسالة وجهها الى رهبان الجزائر يوم5 ماي 1867م قائلا: ((سنآتيكم إخواني الأعزاء من ساعة مشهورة في تاريخ إفريقيا المسيحية ...الكنيسة وفرنسا متحدتان لإحياء أمجاد الماضي.....)) [5].

---

(1) Augustin (R.P) : **Au Sahara avec les pères Blancs**, fascicule numéro :01 230 00014 Center Culturel et de Documentation Saharienne, Ghardaïa ,p197.

(2) **ماكماهون:** ولد في13 جويلية 1808م ،تنحدر أصوله من أسرة كاثوليكية إيرلندية ،إلتحق بالمدرسة العسكرية بسان سير في 1825م وأصبح كولونيل عام1845م ،في سنة1864م أصبح حاكمًا عامًا للجزائر. ينظر : كمال خليل: **المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر،التأسيس والتطور(1850م-1951م)**، رسالة ماجيستر، تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة،السنة الجامعية 2007م-2008م، ص 96.

(3) أبو القاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)**، مج6، ط1، دار الفكر العربي، بيروت (لبنان)، 1998م، ص119.

(4) أبو القاسم سعد الله:المرجع نفسه ،ص 120.

(5) خديجة بقطاش: **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م**، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م، ص ص106-107.

أدى تعصبه لسياسة التنصير إلى ظهور خلاف بينه وبين المسؤوليين العسكريين، لأنه أراد أن يبث المنصرين بين القبائل الخاضعة للسلطة العسكرية، هذه الأخيرة كانت تخشى رد الفعل واندلاع ثورات جديدة، لكنه أراد من الجيش الفرنسي أن يحمي حركات التنصير ويشن حملة ضد سياسة الحكومة الرسمية الهادفة آنذاك إلى بعث مملكة عربية داخل إمبراطورية فرنسية ليقول : (إن القضية ليست قضية بعث مملكة عربية، بل هي قضية إدماج عن طريق التنصير) [1].

بالرغم من معارضة ماكماهون لسياسة لافيجري المفضوحة، وتهجمه على الاسلام –خشية أن يؤدي ذلك إلى حرب دينية –إلا أن لافيجري واصل سياسته التنصيرية[2]، لكن دوقيدون (De Gueydon) [3] الحاكم العام الوحيد في الجزائر كان من المشجعين لعلانية سياسة تنصير المسلمين وتحويلهم إلى العقيدة الكاثوليكية، فقد أعلنها حربا مكشوفة على المسلمين والإسلام بمراقبته الشديدة الدائمة للطرق الدينية، وإهمال المؤسسات الدينية الإسلامية ومنع الجزائريين من أداء فريضة الحج[4].

أراد لافيجري أن يتولى التنصير في تونس بعد احتلالها عام 1881م ليعين بذلك أول أسقف على إفريقيا، لم يكتف بهذا النشاط فقط وانما كان طموحه في مواصلة التنصير في القارة الافريقية أبعد من ذلك، كل هذا لوضع حدّ لانتشار الإسلام فيها، حيث بلغ عدد المسلمين 50مليون خلال قرن واحد، فوافقت روما على ذلك وعينته كاردينال أو رئيس أساقفة إفريقيا في 1882م

(1) شارل روبير أجرون: **المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية**، ترجمة وتقديم وتعليق: د.محمد العيد آل خليفة، منشورات ثالة، الأبيار (الجزائر)، 2013م، ص 97.

(2)الحبيب الجنحاني :"**حركة التبشير والسياسة الإستعمارية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر**"، مجلة الأصالة، العدد16، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة (الجزائر)، 1393هـ/1973م، ص 30.

(3)**دوقيدون** :عُيّن حاكمًا على الجزائر بتاريخ 29 مارس 1871م. ينظر: شاوش حباسي: "**من مظاهر الروح الصليبية في الإستعمار الفرنسي بالجزائر 1830م–1962م** "، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، 1417هـ/1997م، ص94.

(4) شاوش حباسي :المرجع نفسه ،ص 95.

تقديرًا لعمله التنصيري[1]،غير أن عهد الحاكم العام دوقيدون هو الذي شجعه علانية في عمله التنصيري، وقد برز دوره بشكل أكبر في مجاعة عامي 1867-1868حيث عرفت هذه السنوات نكبات طبيعية كانت قاسية على السكان الجزائريين ولاسيما الفلاحين منهم، فأدّت هذه النكبات إلى ظهور أزمة اقتصادية وسياسية نتجت عنها مجاعة عامة في الجزائر سنة 1867م واستمرت إلى أواخر سنة 1868م[2].

استغل الكاردينال لا فيجري هذه الظروف القاسية واتجه نحو جمع 1753طفلا يتيما تتراوح أعمارهم بين 8و 15سنة في ملاجئ سانت أوجين والأبيار وبن عكنون، كما قام بفتح ورشات لتعليم البنات الخياطة والتدبير المترلي واللغة الفرنسية، أما الأولاد فكانوا يتعلمون الأعمال اليدوية[3].

لقد كانت مجاعة عام 1867م-1868م أشد ما تكون على الأهالي الجزائريين الذين لم يحصلوا على أي دعم إلا ما تعلق بعملية التنصير، بل تجلى في اليتامى دون غيرهم، فبهم تكونت قرى مسيحية ذات طابع أهلي، وقد حصل لافيجري على دعم كبير في الجزائر وفي الخارج (البابا) نظير عمله وما حققه من نجاح في تكوينه لليتامى على الطريقة النصرانية[4].

ب- نشاطه التنصيري في منطقة القبائل :

من ركائز الإستعمار سياسة فرق تسد، هذه السياسة التي سلكها الإستعمار في مختلف العصور لاسيما في القرن 19م، كانت هذه السياسة من الخطط التي اعتمدت عليها فرنسا في

(1) الشيخ أبو عمران: "**الأسقف لافيجري ونشاطه التبشيري في وادي شلف 67-1892م** "، مجلة الأصالة ،ع83-84، س9، مجلة ثقافية تصدرها وزارة الشؤون الدينية، شعبان –رمضان 1400هـ/جويلية-أوت 1980م، الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامي، 20-27شوال 1400هـ/31أوت -7سبتمبر 1980م، الجزائر، ص57.

(2) المهدي البوعبدلي: "**الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي**"، مجلة الأصالة، ع8، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة (الجزائر)، 1392هـ/1973م، ص 312.

(3) خديجة بقطاش:المرجع السابق ، ص35.

(4) شاوش حباسي: المرجع السابق، ص 60.

الجزائر لتوطيد دعائمها طيلة الإحتلال وذلك لتشويه التاريخ الموحد للأمم، ومحاولة خلق النزاعات الإقليمية، وتشجيع الروح القبلية معتمدة على الكتابات التاريخية والسياسية والإجتماعية لمناطق عديدة منها منطقة القبائل[1].

تعتبر منطقة القبائل من أهم المناطق التي ركز لافيجري جهوده التبشيرية عليها وقد دفعته وأذكت طموحاته في ذلك عدة أسباب أبرزها مايلي :

-كثافة السكان وتجمعهم في منطقة واحدة: يتواجدون في رقعة جغرافية ضيقة يعيشون فيها،فشجعه ذلك لاختيارها لتكون أكبر ميدان للعمل التنصيري بالجزائر[2].

- عزلة هذه المنطقة (جرجرة) وبعدها عن المدن الجزائرية: إعتقد لافيجري أنه يمكن تنصيرها لأن لسكانها جذورا مسيحية، وأن ايمانهم بالمبادئ الاسلامية ضعيف ويذكر في هذا الصدد القس بونار بأنهم ما كانوا ليعرفوا القرآن أبدًا لو لم تقم فرنسا بتعليمهم إياه[3].

- فقر المنطقة إقتصاديا :جذبت حالة الفقر إليهم المنصرين خاصة بعد فشل ثورة المقراني سنة 1871م ومصادرة جل أراضيهم تحت شعار الأعمال الخيرية، التطبيب والعلاج والتعليم، لتعميق الهزيمة بطريقة غير مباشرة[4].

يمكن تقسيم مرحلة اهتمام المنصرين والعسكريين بمنطقة القبائل إلى الفترات التالية :

الفترة الأولى: هي تمتد إلى ما قبل 1857م، وهي السنة التي تم فيها احتلال المنطقة رسميًا بقيادة الجنرال راندون (Randon) إلى غاية سنة 1860م ،تعتبر مرحلة تمهيدية للتنصير عن طريق محاولة إثبات المسيحية قديمًا بالمنطقة .

(1) خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 135.

(2) مزيان سعيدي:المرجع السابق، ص 204.

(3) M.G.R(Baunard): **le cardinal lavigerie** ,Tome 2, librairi poussielgues, paris(France),1898, p402.

(4) محمد الطاهر وعلي: **التعليم التبشيري في الجزائر (1830م–1904م)دراسة تاريخية تحليلية**، منشورات دحلب، الجزائر، 1997م، ص 66.

الفترة الثانية :تمتد من 1860م الى 1867م وهي مرحلة عملية أصبح فيها التنصير حقيقة ملموسة من خلال إرسال الأسقف بافي للأب اليسوعي كروزا (Creusat) [1] للمنطقة سنة 1863م.

الفترة الثالثة :تمتد من 1867م وهي سنة تعيين الكاردينال لافيجري على رأس أسقفية الجزائر وهي المرحلة التي وصل فيها التنصير في الجزائر قاطبة ذروته .

المعروف تاريخيا أن هذه المنطقة عرفت خلال السنوات الممتدة من 1838م الى 1864م 15 حملة عسكرية، كانت آخرها الحملة التي جرت فيها معركة اشريضن[2] في صيف 1857م وفيها خرج راندون منتصرًا ،لكي يعطي هذا الأخير البعد الديني لهذا النصر اصطحب معه الأسقف بافي، ولإقرار الوضع في المنطقة اتبعوا سياسة جديدة باسم العمل الخيري للوصول إلى تحقيق المخططات التنصيرية .

بعد إلحاح من الأسقف بافي تم إرسال الأب الياسوعي كروزا إلى بلاد القبائل كمرشد ديني ومنصر في 20أكتوبر 1863م، حيث بقي مدة خمس سنوات دون أن يحقق أهدافه رغم المصاريف الكثيرة، ليحل محله يسوعي آخر اسمه فانسان (Vincent) ففشل أيضا، لكن كروزا حصل على دعم من طرف لافيجري ليعود إلى مقره القديم بنفس الروح والحماس .

اعتقد لا فيجري أن منطقة زواوة خير هدف للتنصير وادعى أن كبار القرية أو الأعيان هناك يطالبون فيها بإنشاء المدارس الدينية في ناحيتهم وكان هؤلاء يطالبون بمدارس فرنسية للتعليم العام

(1) **كروزا**: من أبرز المنصرين بمنطقة القبائل وهو من جمعية اليسوعيين، كما أنه خبير في اللسانيات ويتقن اللغة العربية ويتكلم اللهجة القبائلية بسلاسة. ينظر: مزيان سعيدي: المرجع السابق، ص 142.

(2) **اشريضن**: قرية صغيرةتقع في الجنوب الشرقي لقرية الأربعاء نايت ايراثن (تيزي وزو). ينظر: خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 142.

وكانوا مستعدين لدفع نفقاتها، لكن لافيجري أنشأ في قرية إيواضين[1]مدرسة دينية، وطلب لها المعلمين والموظفين من مؤسسة مدارس الشرق التي شارك في تأسيسها قبل تعينه في الجزائر[2].

بناء على ذلك رجع الأب كروزا إلى نشاطه في زواوة، قام في جوان 1868م بتوزيع المواد الغذائية والملابس والأدوية على الأهالي هناك، وظن بذلك أنه استولى على قلوب الناس وحاز على ثقتهم، فأخذ يحدثهم في شؤون الدين المسيحي، لكنهم كانوا يسخرون منه ويضحكون عليه ومن سذاجته[3] .

حاول الأب كروزا أن يقنع قبيلة بني فرح لاعتناق النصرانية لكنهم رفضوا التخلي عن دينهم وفضلوا الموت على تغيير دينهم، أمام هذا الموقف ابتعد كروزا عن هذه القبيلة وأخذ يحاول في مناطق أخرى مشابهة عند بني ذراع وبني يني ،غير أن هؤلاء كتبوا إلى الحكومة يقولون أنه إذا استمرت الدعاية الدينية لجماعة اليسوعيين[4] فإنهم لا يضمنون الأمن في المنطقة، فجاءت ثورة المقراني (1870م-1871م) [5] كرد فعل للسكان ضد سياسة التنصير، كما اتخذ لافيجري سياسة رامية لبث الشقاق بين العرب والبربر، لكن هذه السياسة باءت بالفشل الذريع.

---

(1) **ايواضين:** هي مدينة واضية حاليا في تيزي وزو. ينظر: أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 121.

(2) سعد الله: المرجع نفسه، ص 123.

(3) المرجع نفسه ، ص 123.

(4) **اليسوعيين:** هي فرقة من المغضوب عليها في فرنسا، اذ لم يكن لها الحق في تعاطي المناصب الرسمية لكونها هيمنة على الشؤون السياسية مدة طويلة أي إلى قيام الثورة الفرنسية، تدخلها في السياسة كان أمرًا مخيفًا بالنسبة للساسة الفرنسيين متصورين في ذلك عودة رجال الدين إلى المجالين السياسي والاجتماعي وكانت فرنسا تنفق عليهم في الخارج لأنها تتخوف من رجوعهم . ينظر : خديجة بقطاش :المرجع السابق، ص ص 61-62.

(5) فوجئ لافيجري بإعلان القبائل الثورة على الفرنسين وبحماسهم لمواجهة الفرنسين، فأرجع سبب ثورتهم إلى السياسة الفرنسية التي جعلت منهم مسلمين متعصبين (يقصد نظام المكاتب العربية)، حيث اشتبك الطرفان وأصيب المقراني برصاصة طائشة .ينظر: M.G.R. (Baunard) :Opcit ,P354.

غير أن الجيلالي عبد الرحمان يذكر في كتابه تاريخ الجزائر العام أن المقراني استشهد وهو قائم يصلي صلاة الظهر يوم 15صفر 1288هـ/6مايو 1871م أي بعد 54 يوما فقط من اندلاع الثورة. ينظر: عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج4،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1402هـ/1982م، ص 307، ص309.

لقد مثلت منطقة القبائل منطقة لها خصوصياتها في نظر السلطات الفرنسية التي لم تستطع إخضاعها إلا بعد عناء طويل، حيث تعاونت مع رجال الدين على بسط نفوذهم في المنطقة باسم الأعمال الخيرية، لكن سكان بلاد القبائل رفضوا سياسة التنصير وهو ماتجلى في الردود العسكرية فيما بعد، حين بدأت الاضطرابات تعم بلاد القبائل ،مما جعل الكنيسة تفكر في حلول أخرى كتركيز التنصير عليها دون غيرها من المناطق الجزائرية الأخرى ،كون البربر كانوا على الديانة المسيحية قبل الفتح الإسلامي ومن خلال الدراسات الإجتماعية التي بينت حفاظ هذه المنطقة على التقاليد منذ القدم تبرز بعض الملامح كصور الصليب على الجبهة عند تزين النساء ورسمه على الزرابي[1] .

جـ/–امتداد نشاطه التنصيري إلى الصحراء الجزائرية:

أدرج لافيجري في خضم نشاطه التنصيري في الجزائر مخططًا تفصيليًا لتوسيع دائرة نشاطه انطلاقا من الجزائر صوب الصحراء فوصل إلى إفريقيا، لأن الأمر بالنسبة للافيجري يتعلق بأحد الأمرين :انتصار القضية الإنسانية –ممثلة في عدالة وحرية المسيحية– من جهة ،وانتصار مصالح فرنسا من جهة أخرى، لكن الأطروحة الثانية كانت دوما مقدّمة عنده على الأولى والتي يجب الدفاع في الميدان من أجلها[2].

(1)الحبيب الجنحاني: المرجع السابق ،ص 32.

(2) الحاج ابراهيم الحاج محمد: **نشاط المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية 1868م–1912م (مزاب والهقار نموذجا)**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف ،أ.د/فاطمة الزهراء قشي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 1433هـ/2012م، ص 81.

-إنشاء النيابة والمحافظة الرسولية للصحراء [1]:

بدأت أولى طلائع المنصرين تصل الى الأغواط بعد احتلالها في سنة 1852م، تمهيدا للقيام بالغزو الروحي بعد إتمام الغزو العسكري ففي 10أوت 1856م وصل أسقفيان إلى الأغواط وهما بوني (Bonnet) وديمون (Dumont) التابعان لمنظمة القديس فانسان دوبول (Vincent de paul) ليشرعا في أولى محاولات التنصير في الصحراء وفي 15أكتوبر 1856م افتتحوا مدرسة بناءاً على طلب من السلطات العسكرية، التي خصصت للأهالي وكذلك للأوروبيين ليرتادها عدد قليل من الأهالي حتى عام 1863م ،أما وصول الراهبات فكان في 15أكتوبر 1859م حيث وصلت ثلاث من أخوات الإحسان ليستقرن بالواحات حتى غادرن الجنوب يوم 18 فيفري 1866م[2].

وصل الآباء اليسوعيين في 1أوت 1868م لتمهيد الطريق لمستقبل المهمة في الصحراء وفي السادس من شهر أوت 1868م عين لافيجري ممثل رسولي للصحراء والسودان (dèlègue apostolique du sahara et du soudan)، بتاريخ 14ديسمبر 1890م بلغ الكاردينال بترقية "المحافظة الرسولية للصحراء والسودان " التي كان ممثلا عليها الى مستوى نيابة رسولية Vicariat Apostoliqueوهو نائبًا عليها ليعاد تنظيمها بعد وفاته[3].

---

(1) **المحافظة الرسولية** :في تعريف القانون الكنسي(نقلا عن المادة Can371 من القانون الكنسي Droit Canonique) هي أشبه بسلطة قضائية كاثوليكية على جماعة بشرية من "شعب الله" ونظرا للظروف الخاصة لا يمكن تنظيمهم في شكل أسقفية كاملة مستقلة ترعى شؤونها بنفسها، يتعهد بها إلى محافظ بابوي يسيرها باسم الكرسي البابوي . ينظر : الحاج ابراهيم الحاج محمد: المرجع نفسه ،ص 82.

(2) Michel Gagnon :**Aperçu sur l'histoire de la Mission au Sahara** ,Fascicule 3,Qulque notes de Synthèse sur la prèsence de l'Eglise à l'Laghouat , Laghouat (Algèrie) ,2000,p45.

(3) الحاج ابراهيم الحاج امحمد: المرجع السابق، ص 83.

انطلق الأب شارموتان (Charmetain) [1] من الأغواط متوجها نحو ميزاب في خريف سنة 1872م ، حيث كتب عدّة تقارير عن أفعاله وملاحظاته، كما تمكن من ربط علاقات مع الشعانبة الذين عاملوه وفق مبادئ التسامح الديني الإسلامي، وبعد أن استعرض طريقة استقبال الشعانبة والميزابيين له أمام مسمع لافيجري، قام هذا الأخير ببعثه بصفة كاهن إلى الأغواط رفقة اثنين من الآباء وهما الأب بوشان (Bouchand) وبولميي (Poulmier)، في 31ديسمبر 1875م قام لافيجري بإرسال ثلاثة منصرين وهم الآباء :بولمي(Paulmier) وفيليب ميموري(Phillipe Memoret)، بيار بوشان (Pierre Bouchand) [2]واصطحب هؤلاء معهم خمسة من التوارق كمرشدين فانطلقوا من متليلي نحو بلاد التوارق أملاً في الوصول إلى تمبكتو للإستقرار النهائي في السودان الغربي، لكن شاءت الأقدار أن يلقى الآباء الثلاثة حتفهم، فلم يتجاوزوا القليعة حتى قتلهم التوارق الذين كلّفهم الكاردينال لافيجري بمرافقتهم، كان قد وضع فيهم ثقة مبالغ فيها[3].

(1) **الأب شرموتان:** من أسقفية باريس هو من الآباء الأوائل الذين انخرطوا في جمعية الآباء البيض والذين تقدموا في 18 أكتوبر 1868م لمزاولة تعليم أولي في معهد الأبيار قبل إرسالهم في بعثات تنصيرية، وقد أصبح مسؤول عن فرقة الآباء البيض بمنطقة القبائل، ألف كتابان سجل فيهما انطباعاته عن مهمته وهما :

Charmetant(l'Abbe),annales de la propagation de la foi1874 –Charmetant ,les peuples kabylie et les tribus nomades du Sahara ,Monnèral, 1875.

ينظر:مزيان سعيدي: المرجع السابق، ص 76.

(2) اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى .....، مرجع سابق، ص 110.

(3) تجمد النشاط في وسط الصحراء طيلة الست سنوات التي أعقبت الحادثة. ينظر : الحاج امحمد: المرجع السابق،ص 86.

– إنشاء لافيجري لفرقة إخوان الصحراء المسلحين في بسكرة :

لقد جعل الكاردينال لافيجري من بسكرة[1] مركزا لإقامته الشتوية ابتداءا من زيارته الأولى لها في نوفمبر سنة 1886م، في سنة 1888م تمت دعوته إلى الواحات وذلك للعلاج والبحث عن آثار تاريخ إفريقيا وسط الأطلال الرومانية والمسيحية للصحراء فوصل إليها في السادس والعشرين من شهر فيفري، فأرسى دعائم جمعية دينية مسيحية ذات طابع ديني عسكري وكانت الطريقة المقترحة في بسكرة هي إنشاء زاوية مسيحية بها .

أما زاوية لافيجري فسماها "بيت الله" احتوت مستشفى يدار من طرف الزنوج الأفارقة تَم تحريرهم وأصبحوا أطباء، وهي على شكل دير لاستقبال عابري السبيل والعبيد الهاربين، في هذا الإطار تندرج فكرة لافيجري التي حاول تجسيدها ميدانيًا من خلال دعوته لمحاربة أعمال الرق التي يمارسها المسلمون في حق الزنوج الأفارقة[2] .

عمل الكاردينال لافيجري على جعل بيت المترهبين مخصص لتكوين الأعوان الذين يقترحهم وسماهم إخوان الصحراء (Frères du Sahara)، أو الإخوان المسيحيين وكان الحاكم العسكري لابرين (La Perrien) يهدف للوصول لإنشاء كتائب ركاب المهارى[3] من السكان تحت

(1) **بسكرة** :هي بلدة بالمغرب من نواحي الزاب، بينهما قاعة بني حماد فيها نخل وشجر وقصب جيد، بينهما وبين طبنة مرحلة وقد ظبطها الحموي بقوله بسكرة بفتح أوله وكافه حيث قال :" هي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات وتعرف ببسكرة النخيل " ينظر: ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج4،دار صادر، بيروت، 1955م،ص422.ويذكر مزيان سعيدي نقلا عن لامي في كتاباته عن لافيجري قائلا :"بسكرة عاصمة الزيبان تقع وسط واحة طولها 5كلم بها 140ألف نخلة، إرتفاعها 100متر على مستوى سطح البحر، ترى بواسطة وادي القنطرة ووادي العبدي بها 6آلاف ساكن، منها 350أوروبي دون حساب الفرق العسكرية، بها بيوت ذات أقواس وسطوح تطل جنوبا على قرى البربر العرب والزنوج الأفارقة ".ينظر: مزيان سعيدي : المرجع السابق، ص 350.

(2) R.Pottier: **lavigerie a port et civilisateur**, imp, E, pigelet, paris (France), 1974, p194.

(3) **المهارى** :فرق من أبناء الصحراء تتقن ركوب الجمال، وهو تقليد ضارب في ثقافة المجتمع الصحراوي، ويطلق لقب المهارى على الجمال السريعة. ينظر :ابراهيم مياسي: الإحتلال الفرنسي .....، مرجع سابق، ص 11.

تصرف المنصرين، وهم مضطرين إلى استعمال السلاح مع الإستفادة من مهارتهم في ركوب الجمال ونمط معيشتهم (أي تأقلمهم مع الصحراء) [1].

أراد لافيجري بموجب دلالته الأسقفية ،جذب الحضر والبدو الرحل إليه في الصحراء بمختلف الأساليب، هذا المشروع ليس له إلا بداية التحقق في الميدان تحت إسم رواد جيش الصحراء (Poinniers Armès Du Sahara) هؤلاء الرواد يُكوّنون جمعية دينية تجنّد الشباب مثل النظام العسكري للقرون الوسطى بحرمانهم من الحقوق وإجبارهم على حياة الرهبنة لمدة خمس سنوات والرهبان لايستعملون سلاحهم إلا في حالة الدفاع الشرعي ولضمان أمن القوافل التي تنتقل تحت حمايتهم لايشتبكون بالأسلحة ولا رغبة لهم في تصفية الحسابات، يتعهدون بطاعة أحد الآباء البيض الكبار كالأب هاكارد(Hacquard) الذي سهر على أن لا ينقصهم أي شيء في النظام الديني ولا في المؤونة[2].

لقد سعى لافيجري من خلال إنشاء هذه الفرقة الدينية المسلحة إلى إخضاع ما تبقى له من مناطق الصحراء، كما حاولت السلطات الفرنسية استعمالها للسيطرة على إقليمي توات وقورارة[3]،وما اختيار لافيجري لبسكرة سوى لأهميتها الدينية من واحات الصحراء ورغم الآمال التي علقها لافيجري على هذه الفرقة إلا أنّ السلطات الفرنسية قامت بحلها لتخوفها من ردود أفعال السكان المتمثلة في القيام بأعمال جهادية، هذا فضلا عن تحفظ كبار رجال الدين وانتقاد الصحافة الفرنسية والدول الأوروبية من خلال خرق فرنسا للمعاهدة الدولية، وبالتالي فإن الكاردينال لافيجري عاش على صدمة هذا القرار وهو في أواخر حياته [4].

---

(1) خديجة بقطاش: المرجع سابق، ص 142.

(2) R.Pottier:Opcit, P194 .

(3) مزيان سعيدي : المرجع السابق، ص 366.

(4) لقد اعترف لافيجري قبل وفاته بأن هذه الحملة قتلته، اذ جعلت أنصاره مثل البابا ليون الثالث عشر يشكون من مواقفه، وبدلا من الدفاع عنه أمره البابا بترك قضية الرق، وقطعت عنه بعض المنظمات مددها فأصيب بالمرض ولزم بيته، تارة ببسكرة وتارة بسانت أوجين بالجزائر إلا أن توفي في ديسمبر 1892م. ينظر :مزيان سعيدي : المرجع نفسه، ص 381.

2-نشاط فرقة الآباء والأخوات البيض:

أ- التعريف بجمعية الآباء والأخوات البيض:

-فرقة الآباء البيض (Pères Blancs):

أمام تطلعات لافيجري الرامية لجعل الجزائر بوابة لنشر المسيحية بإفريقيا، فإنه عمل على تشكيل وتأسيس منظمة لجمع شمل المنصرين من الآباء والكهان، لنشر تعاليم الإنجيل والدعاية في أوساط المسلمين والوثنيين الأفارقة، هذه الفرقة أراد أن تكون شجرة أغصانها على كامل إفريقيا[1].

أعلنت النشرية التبشيرية الرسمية في الجزائر(مجلة السيدة الإفريقية)[2] في 20 سبتمبر 1868م عن الإفتتاح القريب لمعهد تكوين الأبيار لتكوين أعضاء فرقة دينية رجالية، وحتى يعطي لافيجري دفعا لتطلعاته راسل المدارس الإكلركية[3] بفرنسا يحثها على الإنضمام لهذه الفرقة[4].

وفي 2 فيفري 1869م بعد ثلاثة أشهر من التكوين، لبس الآباء لباسهم المسيحي التنصيري الجديد وبوركوا في كنيسة السيدة الافريقية، جاء لباسهم موازيًا للباس العربي الإسلامي الجزائري مكوناته جبة طويلة بيضاء مصنوعة من الصوف أو القطن، يوضع فوقها برنوس أبيض اللون

(1) مزيان سعيدي : المرجع نفسه، ص 75.

(2)لم يهمل لافيجري الجانب الإعلامي أثناء نشاطه التنصيري حيث أنشأ مجلة صدى السيدة الافريقية وهي في أصلها مجلة دينية تعتني بالجوانب التاريخية والأثرية والأدبية الخاصة بالكنيسة الإفريقية الرومانية القديمة، ترأس هيئة تحريرها لكن المجلة توقفت عن الصدور بعد أربع سنوات من سنة 1868م الى سنة 1871م. ينظر : Bounard (M) : Opcit ,p185.

(3) نظم لافيجري طبيعة الدراسة في المعاهد فأنشأ مدرسة إكلركية صغرى تقع في سانت أوجين (بولوغين) الجزائر، ومدرسة إكلركية كبرى وهي بمثابة كلية للاهوت، توجد في القبة (مدينة الجزائر) . ينظر :مزيان سعيدي : المرجع السابق، ص ص68-69.

(4) مزيان سعيدي : المرجع نفسه، ص75.

وشاشية حمراء على الرأس وتحاط الرقبة بمسبحة وردية بها صليب أبيض أو أسود، وكثيرًا ما كان الآباء يتركون لحاهم طويلة[1].

قام لافيجري بضبط جملة من القوانين والقواعد للإنضمام لهذه الفرقة ،وتتلخص مهام الآباء في القيام بالتنصير والتمدين والعلاج والتعليم والتهذيب الأخلاقي، أما الإخوان فهم بمثابة المعاونين للآباء في تأدية مهامهم حيث يقومون برعاية الأطفال وعلاج المرضى ،كما يعملون في الورشات والفلاحة ويُعلمون الأهالي الحرف المختلفة[2].

-فرقة الأخوات البيض (Sœurs Blanches) :

أدرك لافيجري مقام المرأة الجزائرية، فوجه اهتمامه إلى سبل التأثير عليها، فالوصول إليها وصول الى الأسرة كلها، لهذا عمل على تأسيس فرقة خاصة بالتنصير وسط العنصر النسوي،تأسست فرقة الأخوات البيض يوم 02 سبتمبر 1869م، وقد حملت عدة تسميات منها Societètè des Sœurs Missionnaires de notre Dame d'afrique لكن التسمية الأكثر تداولا،هي الأخوات البيض (Sœurs Blanches)لارتدائهن المتميز للجبة البيضاء توازيًا مع إخوانهن البيض[3] .

عمل لافيجري على وضع مخطط لتكوين الأخوات البيض، تدرس الأخت منهن ستة أشهر في معهد ديني فرنسي، ثم تلتحق بمدرسة المبتدئين بسان شارل بباريس (Noviciat De St Charles A paris) لإكمال تكوينهم الديني لمدة عامين، حيث يتعلمن العربية والأمازيغية

(1) محمد الطاهر وعلي:المرجع السابق ،ص 39.

(2) خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص169.

(3) مزيان سعيدي : المرجع السابق، ص 85- ص87.

والإفريقية وبعدها يرسلن إلى مكان معين لأداء واجبهن، حيث يباشرن عملهن التنصيري في مجالات مختلفة منها التطبيب والتعليم الفلاحي (الزراعي) [1].

ب- وصول الآباء والأخوات البيض الى ورقلة وتقرت :

كثفت فرنسا من إرسال البعثات التنصيرية إلى الصحراء مع مطلع الخمسينيات من القرن التاسع عشر ، التي كان ظاهرها خدمة للمعرفة العلمية وباطنها التجسس على إمكانيات المنطقة البشرية والعسكرية وظهر معها انتصاب رجال الكنيسة الكاثوليكية ونسائها في مناطق عديدة من الجنوب مثل: بسكرة وغرداية وتمنراست وورقلة والمنيعة وبني عباس وغيرها[2] .

لقد كان لقدوم الأب ريتشار(Rchard) مع زميله كيرمابون (kermaben)القادمين من مدينة غدامس على الحدود الليبية إلى منطقة وادي ريغ الدور البارز في رسم تواجد الأول للآباء البيض في ورقلة، بعد إعطاء الكاردينال لافيجري تعليماته بإيقاف البعثات الإستكشافية الدينية هناك بسبب إعدام الآباء الثلاث: بولميي (paulmier) وميموري (Memoret) وبوشان (Bouchand) [3]المتوجهين إلى منطقة الهقار[4].

(1) عثمان الكعاك: "**التبشير والتخطيط التبشيري**"، المجلد الثالث، الملتقى السابع للفكر الإسلامي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1395هـ/1973م، ص1140.

(2) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 130 .

(3) محمد بن سلمة وعادل عيدي: **التنصير في الجنوب الشرقي الجزائري (1870-1930)**،مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف :عبد القادر قوبع، كلية الآداب واللغات والعلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة زيان عاشور بالجلفة، الموسم الجامعي 1433هـ-1434هـ / 2012 م - 2013 م، ص 81.

(4) يصف لنا ابن بطوطة الهقار بقوله :"....وصلنا الى بلاد هكار، وهم طائفة من البربر ملثمون لاخير عندهم، ولقينا أحد كبرائهم، فحبس القافلة حتى غرموا له أثوابا وسواها، .....وسرنا إلى بلاد هكار شهرا، وهي قليلة النبات، كثيرة الحجارة طريقها وعرة ....." . ينظر، أبو عبيد الله ابن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح وتع :د.علي المنتصر الكتاني، ج2، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)،1985،ص801.

وصل الآباء البيض الثلاثة الأوائل إلى ورقلة في جوان وجويلية من عـــام 1875م ليشـــرعوا فورا في إسداء العلاج والتعليم و استرجاع العبيد، في أوت من عام 1879م غادر الآباء البـــيض بصفة مؤقتة ليرجعوا إليها في عام 1881م[1] .

كما الآباء البيض بإنشاء دار للأيتام ومدرسة يتردد عليها حوالي سبعين تلميذًا وعدد غـــير ثابت من كبار السن وكان لها أيضا مصحة ،وورشة للنسيج، وأخرى للصوف، وثالثة للنجـــارة ومنشآت للإسمنت بالإضافة إلى ورشة للخياطة التي يتخرج منها الشباب بعد فترة طويلـــة مـــن الملاحظة والتجربة، كما استقطبوا عدد من الأطفال اليتامى بالإضافة إلى بعض العبيد الذين أتى بهم الآباء البيض [2].

شهدت المراكز التي أنشأها الآباء البيض تطورًا سريعًا مع الأيام فأصبحت تقام بها نـــدوات أسبوعية سينمائية للتعليم والتوجيه والترفيه، بعدها قام الآباء بحفر أول بئر يمد منطقة ورقلة بالمواد الصالحة للشرب، وحصلوا على امتيازات عديدة خاصة في منطقة "بامنديل" شرق مدينة ورقلـــة فغرسوا النخيل والأشجار وحفروا الآبار[3].

أما الأخوات البيض فيرجع وصولهن إلى ورقلة في جانفي من عام 1912م قادمـــات مـــن غرداية، حيث أقمن هناك لمدة شهرين فتحن فيها معملا للنسيج فيه 5 آلات للنسيج، ليســـتأنفن عملهن في يوم 16 نوفمبر، وفي 11ماي 1914م توقف نشاط الأخوات البيض ليســـتأنف هـــذا النشاط من نسيج وعلاج في 19نوفمبر عام 1919م[4].

وفي شهر ديسمبر عام 1923م أنجز ودشن مشغل كبير للأخوات البيض، تنشط فيه علـــى النسيج 213بنت ، ليبلغ عدد البنات في المشغل 25بنتاً عام 1924م،في أواخـــر ســـنة 1931م

(1) Denys Pillet (PB): **Repères pour l'histoire de Ouargla 1872–1992**, Traduction arabe de Ali Idder, Achevè d'imprimer , Janvier1993, p5-p9 .

(2) محمد بن سلمة وعادل عيدي :المرجع السابق ،ص 82 .

(3) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 176.

(4) Denys Pillet (PB):Opcit, p29 .

فُتحت ورشة جديدة للنساء المتزوجات للعمل في مجال النسيج، ومصحة طبية بالقرب منها كان يقصدها في سنة واحدة 3600مريضا وأكثر من 400مريض يعالج في المنازل ،مع مرور الوقت بلغ عدد الطلاب في الحجرات 500طالب ذكورا وإناثا [1].

لقد شهدت مراكز الآباء والأخوات البيض بورقلة نموًا وتطورًا سريعًا، وهو ما أدى إلى دعمها وتشجيعها من الجهات العسكرية بتلك النواحي، إلا أن غير المفهوم في مركز ورقلة هو تأخر وصول الأخوات البيض إليها إلى غاية سنة 1912م أي بعد 37سنة من قدوم الآباء البيض ليتوقف عملهن في 1914م، ويستأنف في 1919م ،قام الآباء بالتكفل بالتكوين المهني للبنات في البداية في عام 1905م على خلاف العُرف السائد من تكفل الأخوات بتكوين البنات [2].

ج- تنصيب الآباء والأخوات البيض في ميزاب والمنيعة :

- ميزاب:

ترجع المحاولات الأولى لتنصب الآباء البيض في غرداية إلى سنة 1872م، حيث أرادوا في هاته الفترة شراء قطعة أرض ومسكن في سفح مليكة، ونتيجة لضغوطات السكان قاموا بمحاولتهم في متليلي في 1874م، حين قدم إلى المنطقة كل من الآباء ألفريد بوليي (Alfred Paulmier) وبيير بوشار (Pierre Bouchard) وفليب مينوري (Philippe Menoret) الذين عينوا يوم الفاتح أكتوبر1872م في الأغواط التي كانت المرحلة الأولى للطريق إلى الهقار ثم السودان، واستطاع الآباء الثلاثة أن يصلوا في 6 أكتوبر إلى واحات متليلي[3] .

(1) سعد الله: المرجع السابق، ص 402.

(2) Denys Pillet:Opcit,p27.

(3) Michel Gagnon:**Aperçu sur l'histoir de la Mission au Sahara** , fascicule 3, Jeanne borotra , vie de «paroissienne » a Metlili des chaanba de 1953a 1962 (Jeanne Borotra) , denise Crambes , Mimi Vercoustre), laghouat(Algerie), 2000, pp58-59.

وصل الآباء البيض إلى غرداية يوم 15جانفي 1884م و لم يجدو مأوى لهم إلا مترل استأجروه من يهودي اسمه "إسحاق بن داود"في حي اليهود الواقع في الجهة الغربية من القصر، وكان اليهود مسرورين لرؤيتهم في وسطهم، وفي 24 جانفي بدأ الآباء بشكل مباشر تحويل في مترلهم إلى مدرسة مما أدى إلى ضغوطات من القائد الفرنسي، ونظرًا لكون المترل مهدد بالإنهيار بحث الآباء عن ترخيص لشراء أرض، وبعد شهور من المحاولات أعطيت الموافقة على بناء المترل الجديد في جبل بابا صالح بجانب البريد القديم، لكنهم بقوا في حي اليهود إلى غاية رحيلهم منه في 3 فيفري 1887م [1].

أما الأخوات البيض ،فيرجع وصولهن إلى غرداية في 27 سبتمبر 1892م، وهن الأم جوزفين (Josèphine) والأخت لويز (Louis) والأخت كلوتيد (Clotide) والأخت من كنيسة القديس سان لوك (luc)،وقد أقامت الأخوات في بيت صغير في شارع العفافرة، وبدأن بشكل مباشر في 21 جانفي 1893م وجمعن بعض بنات الحي لانطلاق معمل الخياطة في مسكن لايبعد سوى أمتار من إقامتهن، وفي سنة 1895م بُني مستشفى القديس مادلين (Madeline) في تيضفت (المركز الثقافي للوثائق الصحراوية حاليا) الذي دام إلى وقت طويل [2].

وقد أقامت الأخوات في 29 جوان 1902م مؤقتًا في مترل في مكان يسمى البئر (بجانب الموضع الحالي للمركز الثقافي للوثائق الصحراوية)،وفي ربيع 1904م قاموا بشراء قطعة أرضية وتحويطها في الواحة، هذا المترل تم بنائه بسرعة فائقة، وكان الآباء قد استغلوا شجارا وقع بين جارين نتج عنه بيع أحدهما قطعة أرض للمنصرين[3].

---

(1) من الأرشيف غير المصنف بمكتبة البحوث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية يحتوي ملفا مرقما تحت عنوان :

Ghardaïa, école des pères Blancs 1884-1976,p1-.2.

(2) عمر داود وزينب عيسى أوعيسى سكوتي: **الهوية الثقافية الجزائرية والمراكز التعليمية للآباء البيض**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس في علم الاجتماع، تخصص تربوي، المركز الجامعي غرداية، 1429هـ-1430هـ/2008م-2009م،ص 76.

(3) Sœur Blanche : **Quelque Souvenir sur le poste de Ghardaïa** , Document numèro ، 01.230.000, Doc ، *160G, pp1-2,

لقد واجه الآباء عدّة صعوبات في بداية الأمر أثناء محاولة تنصبهم في غرداية، حيث لم يقتصر الأمر على معارضة الهيئات العرفية، بل تعداه إلى السلطات الفرنسية التي كانت تطبق نظامًا عسكريًا في الجنوب، وما تحفظها إلّا تخوفًا من رد فعل غير متوقع من قبل السكان، وقد اختار الآباء أثناء تمركزهم إنشاء العيادات الطبية أولا، ثم المدارس ثانيًا للتقرب أكثر من العائلات عن طريق ربط علاقات صداقة، لما لها من تأثير واضح خاصة في الأوساط النسائية[1].

-المنيعة :

لتركيز التنصير في جنوب الجزائر أقيمت له قاعدة استراتيجية في قلب الصحراء، حيث قام الأسقف تولوت (Touloute) بزيارة إلى المنيعة، فتم إنشاء أول مركز للمنصرين لكن تم غلقه،وقد قام الآباء بمجهودات معتبرة للتخفيف عن الفقراء والمرضى الذين أصيب الكثير منهم بالملاريا وقاموا بتشييد مدارس للأطفال، كما أنشأوا بساتين لتكوينهم في العمل [2].

كما شهدت سنة 1919م مجاعة نتج عنها العديد من الأطفال اليتامى في منطقة الأغواط ونتيجة لتدهور وضعيتهم هناك تم تأسيس دار للأيتام في 1921م، اعتمد المنصرون على قاعدة الإحتراز في هاته المؤسسة، فالأطفال اليتامى لايتم تنصيرهم حتى سن السابعة عشر ،أو الثامنة عشر عندما يعرفون بعمق ويمارسون تعاليم الدين المسيحي [3].

وبالرغم من وجود عدد كبير من الأيتام إلا أنّ عدد المنصرين من السكان الأصليين قليل، حيث كان هناك مسيحيين راشدين في حدود سنة 1910م ومنذ ذلك الوقت عرف المنصرون عدّة صعوبات الأمرالذي سبب لهم التوقف لبعض الوقت لأسباب رأوها معقدة .

---

(1) Michel Gagnon:Opcit,p 141.

(2) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 131.

(3)محفوظ حني :**الإرساليات التنصيرية في الصحراء الجزائرية–غرداية نموذجا–(1874–1976)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص تاريخ حديث ،إشراف :د/صالح بوسليم ،أ/محمد سعيد بوبكر ،كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ،قسم العلوم الإنسانية ،شعبة التاريخ ،جامعة غرداية ،الموسم الجامعي1434-1435 ه/2013-2014م ،ص87.

ولقد اعتبرت المنيعة آنذاك الوحيدة التي تحفل بعمل المنصرين، فكان الآباء يوسعون من مهامهم في الواحات والضواحي الصغيرة مثل : تميمون على 380كلم، أدرار 450كلم، عين صالح 420كلم والضاحية الكبيرة لتمنراست 1200كلم، حيث كان الأب يقوم برحلة مرة وأحيانا مرتين كل سنةإليها، لنقل المساعدات الدينية للضباط والجنود والموظفين[1] .

د- وصول الآباء والأخوات البيض إلى عين صالح والهقار :

تعود أولى بدايات أولى بدايات توافد الإرساليات التنصيرية في منطقة الهقار إلى سنة 1879م، حين قام الأب "ريشار" مع زميله"كيرمايون" بجولة استكشافية ضمن بعثات الآباء البيض إلى منطقة الهقار بدعم من الكاردينال لافيجري، ساعد هؤلاء الدخلاء التعاون والإرشاد الذي لقوه من طرف توارق "ايفوغاس" كونهم أعرف الناس بمنطقة الهقار[2] .

أقامت بعثة الأب" ريشار" علاقات وديّة مع التوارق تمهيدًا لتنصيب مراكز للتنصير في تلك المناطق العذراء، ومع حلول شهر ديسمبر 1881م عاود رحلته إلى تلك المناطق رفقة صديقيه الأب مورات (Morat) وبوبلار (Pouplard)، لكن هؤلاء الآباء قتلوا بعد أيام قليلة من انطلاقهم من منطقة الهقار إلى غدامس وكانت نهايتهم على يد التوارق ووجدت جثتهم على ربوة صغيرة تدعى "تين كوفار "[3] لتتوقف حركة البعثات التنصيرية لفترة من الزمن بعد هذه الحادثة لتعاود الظهور مع شخصية المنصر شارل دوفوكو، الذي أفنى عمره في خدمة أهداف الكنيسة ،وتثبيت تواجدها هناك[4]، وهو ما سأتطرق إليه في الفصول الموالية.

---

(1) Un vieux père du desert:"**el Golèa Sicut palma florebit**"، Reveu Grand Lacs, Reveu Mensuelle des Missionnaires d'Afrique ,Edition 1.53eme année, N ،5-6, paris (France), 1937, p45.

(2)اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى ...،مرجع سابق، ص 110.

(3)**تين كوفار** :توجد هذه الربوة في الطريق الصحراوي الذي يستخدمه التجار في حركتهم من الهقار إلى مدينة غدامس الليبية. ينظر: إبراهيم مياسي: الإحتلال الفرنسي ...، مرجع سابق، ص422.

(4) عبد السلام بوشارب: **الهقار أمجاد وأنجاد**، ط1،نشر المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995م، ص 119.

3-ميادين نشاط الآباء والأخوات البيض :

أ- مدارس التعليم العام :

يتجه المنصرون حيثما حلوا قصد الدعوة إلى النصرانية نحو الأطفال، ويعود اهتمامهم بهم الى جملة من الأسباب، فعن طريق المدرسة يمكن للمنصّرين أن يحتكوا بالسكان، يضاف لها سهولة التأثير على الأطفال وتلقينهم مبادئ النصرانية ،بل وصل الأمر إلى تدريسهم تاريخ الكنيسة الإفريقية، فبعد استقرار الآباء البيض في الصحراء منذ 1873م اهتموا بالتعليم الذي كان همهم فيه جلب أكبر عدد من الأطفال، لغرس الأفكار التي حلوا بالمنطقة من أجلها، ففي البداية كانوا يحولون مقر سكناهم إلى أقسام ريثما يبنون أقسامهم تماشيًا مع توافد الأطفال على هذا النوع الجديد من المدارس[1].

لقد كانت مرحلة التعليم الإبتدائية محور التعليم العام في المدارس التنصيرية، وباستطاعة الأطفال في تلك المناطق أن يفدوا إلى هذه المدارس التنصيرية دون حدود معينة في السن، بل أن المنصرين كانوا هم من يستقطب الأطفال فيها، ويوزع الأطفال حسب أعمارهم إلى ثلاث فئات :فئة كبار السن، فئة المتوسطين في السن، فئة صغار السن، وبذلك تشكل ثلاث فصول للتعليم التنصيري، معتمدين على برامج خاصة لكل فئة منهم لتعليم مبادئ اللغة الفرنسية[2].

ففي مدينة ورقلة وضع المنصرون في المدرسة التي أسسوها برنامجين، أحدهما يتعلق بالتعليم النظري، والثاني يرمي إلى تقديم معارف تطبيقية (علمية) للأطفال الذين كان عددهم عند افتتاحها 26طفلا، فالتعليم النظري يتضمن :القراءة والخط ومبادئ الحساب والتاريخ والجغرافيا، أما التعليم التطبيقي فيشمل معارف في صناعة القفف والنجارة والبستنة.

---

(1)محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 88.

(2)تجدر الإشارةالى أن التعليم الابتدائي في هذه الحقبة كان عبر قسمين :الأول يدعى التعليم الإبتدائي الأول والثاني التعليم الإبتدائي العالي . ينظر: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 89.

أما في مدينة غرداية ،فإن المدرسة اللائكية (العمومية) [1] التي فتحتها السلطات الفرنسية في 23 فيفري 1885م بواسطة قائدها ديدييه (Didier)، ومقرها منطقة "بيت الضيوف" طلب لها القائد 60تلميذا فلم يلتحق بها إلا 15 طفلا وهو ما اشتكى منه الأب قريزي(Grisey) في أكتوبر 1886م فبلغ العدد 36 طفلا ونتيجة لرفض السكان إرسال أبنائهم أصدرت السلطات الفرنسية أمرًا بإجبارية التعليم ليبلغ العدد بعد 10سنوات 100طفل سنة 1897.

عرفت المدرسة توافد الأطفال في سنة 1900م ليصل العدد إلى 49تلميذا مما جعل الآباء البيض يخصصون أبوين كأستاذين وبحلول 30مارس 1901م قفز الرقم إلى 91 مسجلا منهم 66مواضبون على الحضور ،هذا ما جعل الآباء يستأجرون منزلا في "باب الراعي" أقاموا فيه قسمًا بدأ في استقبال التلاميذ في 18اكتوبر 1903م، أما في سنتي 1921م -1922م فقد تزايد عدد التلاميذ في هذه الأقسام خاصة مع قدوم الأب كاريسان(Carissan) والأب إميل دالرت (E.Dalleret) حيث أخذت المدرسة نفسًا جديدة في التدريس ليرتفع العدد إلى 105تلميذا، كما جهز الآباء حديقة لتقديم الدروس في الفلاحة[2] .

(1) ينظر الملحق رقم (15)قائمة للأساتذة الآباء اللائكيين بمدرسة الآباء من1884-1975.

(2) Sœur Blanche: Opcit ,p 3 .

الجدول رقم (1) يوضح عدد التلاميذ بمدرسة الآباء بغرداية من سنة 1884-1930م[1]:

السنوات	عدد التلاميذ	العدد الذي يحضر باستمرار
23 جانفي الى أفريل 1884م	15	-
مارس 1890	50	-
ديسمبر 1894	من 90الى 100	70 الى 75
ديسمبر 1896	-	-
1900	49	27
7 فيفري 1907	من 80 الى 100	-
نوفمبر 1914	-	-
نوفمبر 1921	73	37
1926	63	-
1928	105	-
1930	108	-

أما الحجم الزمني في مدارس المنصرين، فقد كان في حدود ثماني ساعات في اليوم ،أربع منها تخصص لتلقي الدروس ،والأربع الأخرى للمطالعة ونشاطات أخرى، والملاحظ هنا أن المنصرين يحبذون مكوث الأطفال عندهم مدة طويلة، هذا ما جعلهم يقومون بإنشاء ملحقة بمدارسهم وذلك بقصد التأثير عليهم بشكل فعال في مجال دعوتهم إلى اعتناق النصرانية وإبعادهم عن اللغة العربية والدين الإسلامي ،وهي بذلك تلتقي مع الأهداف التي سطرها الإحتلال (تجهيل الشعب الجزائري)، أما تعليم البنات في أقصى الجنوب الجزائري فقد كان متذبذبًا واقتصر تواجدهن في الورشات، ويعود ذلك لصعوبة التي لقيتها المنصرات في جلب البنات إلى مدارسهن في المجتمع التارقي [2] .

(1) Sœur Blanche: Ibid ,p 4 .

(2) محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص140.

لقد كان هؤلاء المنصرون في واحات وقرى الصحراء يهدفون من وراء برامجهم المطبقة في مدارسهم إلى نشر المسيحية عن طريق تلقين الأطفال مبادئهم التنصيرية، ولإضفاء طابع المسيحية على تلك البرامج عمد المنصرون إلى اتباع أساليب غير مباشرة لتحقيق هذا المسعى كتطعيم برامج التعليم بالمسيحية واستخدام نصوص مستخرجة من الإنجيل وتقديمها للأطفال .

ب- مدارس التكوين المهني والنشاط الفلاحي:

اهتم التعليم المهني الذي أسسه المنصرون في مناطق الصحراء بإكساب الأطفال والشباب بعض المهن التي كانت شائعة في ذلك الوقت، وكثيرا ما كان يستجيب لخصوصيات كل منطقة، وينقسم التعليم الحرفي إلى تعليم حرفي موجّه للذكور تحت إشراف الآباء وتعليم للإناث تحت إشراف الأخوات .

ولما استقرت الأخوات البيض في أول أمرهن بغرداية جمعن بعض بنات الحي لانطلاق معمل للخياطة في مسكن يقع على بُعد بضعة أمتار من مسكنهن، كان يستقبل حوالي 40 فتاة أغلبهن يتعلمن الخياطة والغزل والنسيج، وفي سنة 1900 قامت الأخوات بالإنتقال الى" تيضفت" بالقرب من المستشفى العسكري وتابعن العمل فيه بمعمل صغير للخياطة، أما في سنة 1902م انتقلت الأخوات الى مستوصف الأخت تيوفاني(thèophanie) بدأن فيه بتعليم الخياطة، ثم أخذ هذا المعمل يتطور حتى سنة 1912م، حين تحولت الأخوات البيض إلى الواحة السفلى من وادي غرداية ونزلن في منطقة "باب الراعي"، وهنا قامت الأخوات بإنشاء مركز للتكوين المهني يضم حرفة صناعة الزرابي[1].

لقد أصبح المركز في الثلاثينيات مركزا متخصصا في تكوين البنات في شتى الفنون :الخياطة –الطرز –صناعة الصوف – الطبخ ومواد تعليمية هامة، يبقين في هذا المركز من السابعة صباحا

(1) يوسف بن بكير الحاج سعيد: **تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، ط2، المطبعة العربية، غرداية (الجزائر)، 1427هـ/2006م، ص25.

إلى الخامسة مساءا، ويستمر هذا النظام باقي أيام الأسبوع ماعدا يوم الأحد والجمعة، وبعد الإنتهاء من صناعة الزرابي تعرض للبيع في القاعة المجاورة، وغالبا ماكان رمز الصليب حاضرا في هذه الزرابي ليوحي بمضامين أخرى[1] .

الجدول رقم (2) إحصاء 1أكتوبر1928م في التكوين المهني للبنات لعدد من المناطق :

المركز	مجال التكوين	عدد الأقسام	عدد التلميذات
غرداية	تعليم مترلي ونسيج	3	60
ورقلة	تعليم مترلي	3	57
المنيعة	تعليم مترلي ونسيج	1	38
تمنراست	خياطة –جلود ونسيج	2	-

أما في متليلي فلم تظهر بها مدرسة للبنات خلال الفترة المدروسة بل ظهرت في 1852م و 1858م حيث حولت مدرسة الأخت "جين" الى مدرسة لائكية، كما تم بناء مدرسة بأقسام كبيرة مع ثلاث مساكن للمعلمين، وهذا ما حسن حال الأخوات اللاتي وجدن مشكلة في تسديد أجور المعلمين[2] .

أما في مدينة ورقلة فكان معمل النسيج يتكون من بعض النساء الفقيرات ممن لا يستطعن امتلاك منسج في بيوتهن، وهو تحت إشراف الأخت "هكتور فكتوار تورنيي"، يوجد بهذا المعمل بعض الخياطات ومسرحات الصوف، يقمن بغسل الصوف وصباغة الجلود، وكان هذا المركز يضم في سنة 1908م قرابة 23 فتاة[3].

أما التعليم المهني الموجه للذكور ،فقد أنشأ الآباء البيض مديرية للتعليم المهني بغرداية عام 1896م تدرس فيها النجارة ثم أضيف فيها النقش على النحاس سنة1909م، وفي مدينة ورقلة فتح

(1)عمر داود – عيسى أوعيسى سكوتي: المرجع السابق، ص83.

(2)Sœur Blanche :Op cit,P2.

(3)عبد الرحمان حاجي: **ورقلة تاريخ وحضارة**، دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر، 2010م،ص 45.

الآباء البيض ورشات للفلاحة والنجارة، واختصت مدينة المنيعة بالفلاحة، أما في مدينة تمنراست فقد كان التوارق يتعلمون فن البناء وتقنية زراعة بعض الخضروات [1].

الجدول رقم(3):يوضح التعليم المهني للذكور:

المركز	السنوات	الدروس المهنية	عدد الأقسام	عدد التلاميذ
ورقلة	1875	الفلاحة والنجارة	4	362
غرداية	1896-1909	النجارة والنقش على النحاس	3	144
متليلي	1885	فلاحة	-	-
المنيعة	1922	فلاحة	2	87
تمنراست	1913	البناء والفلاحة	-	99

لقد كانت مهنة صناعة الزرابي مهنة قديمة، ومع مجيء الأخوات أصبحت الصناعة أكثر منهجية إلى يومنا هذا، حيث يشهد النساء بالفضل للأخوات في ذلك، وفي مدارس التعليم المهني لا يبرز فرق عن المدارس العامة في نوعية الدروس المقدمة، إذ لم تخلو من الطابع التنصيري والرموز الدينية الهادفة خاصة على المنسوجات[2].

ج- المهام الطبية وتربية الأيتام :

ظهرت أهمية العلاج كوسيلة من وسائل التنصير في أواخر القرن التاسع عشر، ويعتبر التطبيب في العمل التنصيري أكثر شمولاً من الوسائل الأخرى لأنه موجه للصغار والكبار من الأهالي على حد سواء هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يكون وقعه على نفوس الأفراد أكثر تأثيرًا لأن الأمر يتعلق بمعالجة أمراضهم والتخفيف عنهم، فالعلاج هو الوسيلة التي يحاول بواسطتها

(1)عمر داود – عيسى أوعيسى سكوتي: المرجع السابق، ص85.

(2) Sœur Blanche :Op cit,P4.

المنصرون أن يظهروا كل خصالهم الخلقية كالطيبة والرأفة والشفقة ومحبة الناس وكلها صفات لا يمكن للأفراد أن يغضوا الطرف عنها دون أن يتأثروا بها وبالتالي التعلق بالمنصرين[1].

استخدم الآباء والأخوات البيض التطبيب في الصحراء كوسيلة للتنصير بطريقتين قد لاتختلفان عما قام به المنصرون في منطقة القبائل وفي أنحاء أخرى من الجزائر وتتمثل هاتان الطريقتان في :

الأولى :استقدام المواطنين إلى المصحات والمستشفيات التي أقاموها لهذا الغرض، ومثال هذا النموذج ساد في مدينة غرداية .

الثانية: وهي طريقة مباشرة وصريحة كدعوة القادرين من المرضى إلى حضور القداس الذي كان يقام في كنيسة مستشفى القديس[2].

ولعل من أبرز المشاريع الطبية التي كان يعول عليها المنصرون في استقطاب أكبر عدد من المتنصرين كانت في منطقة بني ميزاب، فقد أنشأوا في سنة 1895م مستشفى مدني يستقبل بالاتفاق مع الولاية العامة الأهالي والعسكريين والمدنيين الأوروبيين، وبطلب من الآباء البيض أغلق المستشفى في17جوان 1910م، كما أنشأوا عيادة للجراحة أشرف عليها الدكتور لوكوتور (Locoutour) في منطقة "الثنية"[3].

كما أقام الآباء البيض في منطقة الهقار مستوصفًا صغيرا أشرف عليه الطبيب روبار أرسن(Rebarercn) الذي استطاع أن يجلب السكان من المناطق المجاورة إليه دون إزعاج أوتخوف، فقد كان انتقال الآباء والأخوات البيض إلى منازل الأهالي لعلاج المرضى وسيلة من

(1) محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص88.

(2) محمد الطاهر وعلي: المرجع نفسه، ص 86.

(3) يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص ص195-196.

وسائل التنصير، ذلك لأن دائرة احتكاك المنصرين بالأهالي أصبحت تتسع أكثر، وتلك الفرصة لايمكن أن يتركها الطبيب روبار أرسن لبلوغ أهدافه التنصيرية[1].

أما في مجال تربية الأيتام فقد بدأ انطلاق أول مشروع تنصيري في الجزائر إثر مجاعة 1867م الذي جسده لافيجري في الجزائر، وأكمله بالتوجه نحو الصحراء قصد إنشاء دور للأيتام، ففي مدينة ورقلة استغل الآباء البيض الحالة المزرية التي تعاني منها المنطقة وأنشأوا مركزًا للتنصير ضمت قاعاته 12طفلاً يتيماً في سنة 1889م، وكان لمجاعة 1919م دور كبير في عزم الآباء على إنشاء دار للأيتام بقلب الصحراء فوقع الإختيار على مدينة المنيعة حيث ضمت 24يتيما في سنة 1921م وارتفع العدد في 1933م إلى 55يتيما، وقد اعتبر هؤلاء اليتامى مواطنين فرنسيين، يتكفل بهم من طرف الآباء والأخوات البيض لتدريسهم وتلقينهم حتى يصبحوا مسيحيين.

الجدول رقم (4) يوضح عدد اليتامى والمنصرين والعائلات المسيحية المكونة بالمنيعة [2]:

السنوات	الأطفال	البنات	المجموع	العائلات
1921	–	–	24	–
1923	39	9	48	–
1932	35	23	58	10
1933	33	22	55	12
1934	28	20	48	12
1935	26	20	46	16
1936	27	18	45	18

انتحل المنصرون في الجزائر أدوار وشخصيات عديدة فمنهم الطبيب ،والمعلم ،والكاتب وساعي البريد والعسكري، والمهندس، وقد سعوا جميعهم بأن تكون الصحراء الجزائرية مسيحية

(1) عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص109.

(2) Sœur Blanche :Op cit,P4.

يوما ما، فلم يكتفوا في دعوتهم للنصرانية بتقديم خدماتهم المشبوهة للسكان، بل استعانوا في ذلك بكل ما يحقق أهدافهم مهما كان هذا العمل حتى لو كانت صلاة أودعوات ،من أجل نشر المسيحية في تلك الأراضي الشاسعة.

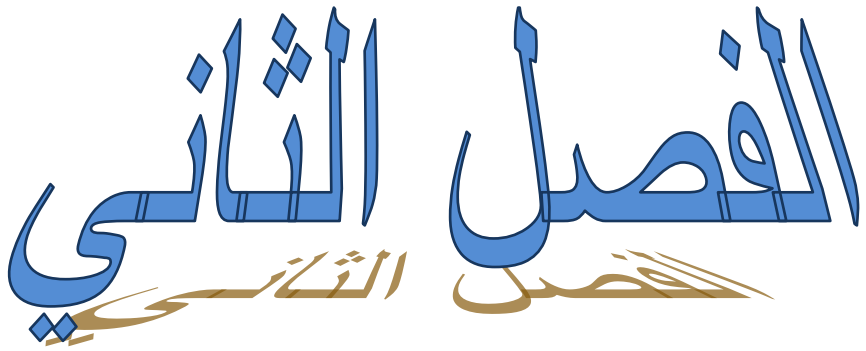

شارل دي فوكو حياته وآثاره

1. مولده ونشأته .
2. حياته العلمية والعسكرية.
3. رحلاته.
4. مخلفاته وآثاره.

لقد بلغ التنصير أوج نشاطه بفعل الخطة التي انتهجها الكاردينال لافيجري ،بعد أن أسس مراكز للآباء والأخوات البيض في مناطق مختلفة من الجزائر ،ومما لاشك فيه أن مهمة الأب دي فوكو في الجزائر هي استمرارية لمشروع الكاردينال لافيجري ،الذي اعتبر أن انتصار المسيحية حتمية لامفرمنها.

1-مولده ونشأته :

ولد شارل أوجين دي فوكو (Charles-Eugéne DeFoucauld) يوم 15 سبتمبر 1858م بستراسبورغ (strasbourge) [1] في أحد الأحياء الراقية للعائلات النبيلة التي تنتمي إليها عائلته المتفرعة من بريقود(périgrd)التي تعود جذورها إلى نهاية الألفية الأولى 970م [2].

ولد أبوه فرانسوا إدوارد(françois edouard)في 27 فيفري 1820م، تزوج في 15 ماي 1855م من إليزابيت بودي مورلي(elizabeth beaudet morlet) التي تنتمي إلى عائلة متمسكة بالتقاليد والإخلاص للوطن، تعود أصولها إلى chmpenois الماكثة بمنطقة لورين(Lorraine) منذ القرن 17م وتعمل أساسا في مجال الأسلحة[3].

كان أحد أجداده hugnes foucauld يساهم بكثرة في عملية بناء الدير بمنطقته، لذلك تبلورت مبكرًا تقاليد خدمة الدين والوطن في وسط عائلة فوكو، كما كان جده من أبيه فرنسوا ميشال (françois Michel) عقيدًا في الهندسة أثناء الثورة الفرنسية واستحقت مساهمتة الفوز

(1) **ستراسبورغ:** يطلق عليها باللهجة الألزاسية "شتراسبوري"، تقع مدينة ستراسبورغ في شمال الشرقي لفرنسا، وتطل على الواجهة اليسرى لنهر الراين وهي من أهم مدن الألزاس. ينظر:

Léon poirier : **charles de foucauld et l'appel du sillense**, propriété des editeurs, France, 1938, p 10.

(2) حسن مرموري: **التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين**، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010م، ص 253 .

(3) George Gorrée: **Sur Les Traces De Charles De Foncauld**, Nouvelliste Lyon (France), P15.

والإعتبار من طرف نابليون، أما أب أمه إلزابيت شارل قابريال دي مورلي (charles gabriel de morlet) فكان هو الآخر متخرجًا من المدرسة المتعددة التقنيات[1].

انتقل أبوه إلى ويسمبورغ (wissembourge) مع عائلته بعد أن عُيّن بها مفتشًا للماء والغابات، في هذه المدينة ولدت أخت شارل دي فوكو الوحيدة ماري(Inserodolphine Marie) في 13 أوت 1861م، تلقيا من أُمهما في سن مبكرة تعاليم الدين المسيحي[2].

لقد تركت والدته في نفسيته انطباعًا عميقًا، لكنها ما لبثت أن فارقت الحياة وهي في الخامسة والثلاثين يوم 13 مارس 1864م، وبعدها بستة أشهر بالضبط في 6 أوت 1864م يفقد أباه الذي لم يتعد الأربعة والأربعين سنة، ليتولى حضانة اليتيمين الصغيرين فوكو 6 سنوات وماري 3 سنوات جدهما لأمهما العقيد دي مورلي (demorlet) الساكن بستراسبورغ[3]، عسكري متقاعد، ولأنه كان مُسنًا جداً، لم يستطع أن يوفر لهما سوى عاطفة ضعيفة ممزوجة بالشفقة، وترك الولدين ينشآن ويكبران مُعتمدين على فطرتهما دون توجيه أو رعاية [4].

لقد طُبعت طفولته بحرب سنة 1870م ،التي جاءت كعاصفة زعزعت البيت الذي كان من الأول مليئًا بالأحزان والمآسي، حيث أنهم اضطروا للزحف هروبًا من الألمان ولا سيما الذين كانوا يسكنون في منطقتي الألزاس واللورين، فاضطرت العائلة إلى مغادرة ستراسبورغ واللجوء إلى غربي فرنسا ثم إلى سويسرا[5] .

---

(1) حسن مرموري: المرجع السابق، ص 254 .

(2) حسن مرموري: المرجع نفسه، ص 255 .

(3) يذكر دي فوكو والدته مرات عديدة بحب وتأثر كبيرين حيث يقول،"أن الذي كنت منذ طفولتي محاطًا بفيض من النعم، من أبرز أني حضيت بأم قديّسة، تعلمت منها أن أعرفك ياإلهي وأن أحبك ...". ينظر: الأخت الصغيرة آني يسرع: **رجل يبحث عن الله، شارل دي فوكو**، تر: الأستاذ داود داود، مطابع معوشي وزكرياء، 1997، ص 09 .

(4) Maurice serpette: **foucauld au Désrest**, dexlée de brouver, france, janver, 1997, p 17.

(5) أنطوان شاتلار: **شارل دي فوكو الطريق إلى تمنراست**، تر: الأب ألبير أبونا، منشورات دار نجم المشرق، بغداد (العراق)، 2005م، ص 17.

2-حياته العلمية والعسكرية:

أ/- حياته العلمية:

تلقى فوكو تعليمهُ الإبتدائي بمدرسة الأسقفية سان أربوقاست (saint-arbogast)بمدينة ستراسبورغ التي أُسست سنة 1851م من طرف أندري راك(mgr andrée race) ، حيث كان العقيد مورلي (de morlet) تربطه علاقة طيبة مع أحد مديري هذه المدرسة وهو من أشهر علماء الآثار آنذاك، وفي هذه المدرسة إلتقى فوكو بصديقه الحميم فاز (faes) الذي أصبح جنرالاً فيما بعد، ثم أغلقت المدرسة أبوابها في 6 سبتمبر 1868م فدخل فوكو القسم السادس في ثانوية ستراسبورغ فتعلم اللغة الإيطالية [1].

غادر جده دي مورلي في سنة 1870م الألزاس أثناء الحرب الفرنسية الألمانية، حيث توقفت الدراسة ليتجه مع إبنيه إلى برن (berne) بسويسرا، ومكث هناك إلى غاية نهاية الحرب سنة 1871م[2]، عاد إلى فرنسا فقرر الإستقرار بنانسي (nancy) فدرس بثانوية ناسيونال (national) التي تابع دروسه بها وكان متفوقا في التاريخ والجغرافيا على الخصوص فتحصل على البكالوريا بتقدير "قريب من الجيّد"[3].

قام فوكو بتناول القربان المقدس في 28 أفريل 1827م لأول مرة في حياته بكنيسة نانسي حيث يقول دي فوكو في رسالته الى الجنرال سيسيبال (susbielle): «... وفي نفس الكتدرائية (la cathédrale) بمدينة نانسي تناولت القربان لأول مرة في سنة 1872م حيث استقر المقام بجدّي في مدينة نانسي بعد حرب سنة 1870م »[4].

---

(1) حسن مرموري: المرجع السابق، ص 254.

(2) René Bazin :**Charles De Foucauld Explorateur Du Mroc–Ermite An Sahar**a, Plon (france), 1921, P 10.

(3 George) Gorrée :Opcit, P 17.

(4) Paul Lesourd : **La Vraie Figure Du Pére De Foucauld**, **Flaumarion**, Paris, 1938, P 20 .

كانت مدينة باريس محطّة أخرى في حياة دي فوكو، فبعد حصوله على شـــهادة البكالوريـــا التحق بمدرسة اليسوعيين (الوهبان) la rue des postes في أكتوبر 1874م بباريس ،والتي يُسيرها آنذاك الأب دولاك(dulac) المشهور، تحضيرًا لامتحان دخول المدرسة العسكرية ســـــان سيـــــر (saint-cyr)[1].

ب/– حياته العسكرية:

لقد مثلت هذه المرحلة أصعب مرحلة في حياة فوكو، حيث بدأ يُحضر للحياة العسكرية التي كان يتمناها منذ صغره، رغم أن جدَهُ كان يفضل أن يتكون في المدرسة المتعددة التقنيات مثلـــه[2]، لكن فوكو فضل سان سير (saint-cyr) لأن المسابقة فيها سهلة بالنسبة إليه[3].

– مدرسة سان سير saint cyr (1876–1878)[4]:

أجرى فوكو بمدينة نانسي إمتحان القبول بالمدرسة العسكرية الخاصة سان سير ،مفخرة الضباط الفرنسين فتحصل في 30 أكتوبر 1876م على المرتبة الثانية وثمانون (82) من بين 412 طالب ناجح ليدخل مدرسة [5] سان سير وهو الثامنة عشرة من عمره تحت قيادة الجنرال بريقاد (brigade).

جُند في السرية الثانية وتعرف على العديد من زملائه الذين سيكون لهم تأثير كبير في الجـــيش الفرنسي والسياسة العامة للبلاد بحكم رُتبهم ومناصبهم ومن بين أســـاتذته المـــلازم الأول دوبـــال (dubail) أستاذ الجغرافيا الذي أصبح فيما بعد أمين لوسام الشرف، ومن بـــين مؤطريـــة الرقيـــب

(1) Marie André: **L'emit Du Grand Desert**, **Le Pére De Foucanld** ,Imprimerie Fournir Tonlonse, 1973, P 7 .

(2) مرموري: المرجع السابق، ص 256 .

(3)لم يكن منظبطا ولا محافظا مؤمنا كما يتطلب نظام وقانون المدرسة فتعرض لعقوبات تأديبية عديدة منها 45 عقوبة و47 إيقاف. ينظر : Gorrée : Op cit, P 21 .

(4) ينظر الملحق رقم (04): صورة شارل دي فوكو أثناء تواجده بالمدرسة العسكرية سان سير(Sain-Syr) .

(5) Gorrée: Ibid, P 22.

(fourrier gérard) الذي قاد الجيش الخامس سنة 1915م وعدد آخر من الذين توصلوا إلى رتب جنرالات وماريشالات ومنهم لابرين (laperine) الذي لازمه في الصحراء[1] ،وهو ما سأتطرق إليه فيما بعد .

كانت بداية حياته العسكرية حافلة بالنجاحات، فتحصل في سنته الأولى على المرتبة 143 من 391 وهي مرتبة متقدمة حسب تصنيف المدرسة[2]،في 03 فيفري 1878م توفي جد فوكو الكولونيل مورلي(morlet) في بيته عن عمر يناهز 81 سنة، بينما كان هو في نحو العشرين سنة، وكان لذلك تأثير واضح في توجه حياة فوكو، حيث تغيرت انشغالاته وعزف تماما عن الدروس العسكرية لصالح الأدب والحرفة [3]، وتُطلعنا الرسائل التي كتبها إلى أحد أصدقاء طفولته عن الألم الشديد الذي شعر به بعد موت جده[4] ،وعدم اهتمامه بالجد والنظام كما يشهد على ذلك لابرين بقوله : «...يستعمل أوقات فراغه بعد التمارين العسكرية في التسكع والرسم أو التعمق في مطالعة المؤلفات الإغريقية اللاتينية، أما بالنسبة لدروسه النظرية فلا يلتفت إليها إطلاقا ...»، أدى ذلك إلى تقهقر مستواه وتخرج من المدرسة في المرتبة 333 من 386 طالبًا ليعين في01 أكتوبر 1878م ملازمًا[5].

في هذه الفترة اتسمت مسيرته بقطيعة حقيقية، وقد أظهر ذلك في رسائله التي تُطلعنا على حالة الضجر التي كان يعيشها حيث يذكر في أحد رسائله قوله: «...فالناس الدنيويون وأصدقائي لم يكونوا يولوني اعتبارًا: كنت لهم موضوع الضجر بل موضع الاشمئزاز. كنت حتريرًا أكثر مني إنسانا...» [6].

---

(1) مرموري: المرجع السابق، ص ص 256-257 .

(2) René Bazin :Opcit, P 17 .

(3) مرموري: المرجع السابق، ص 257.

(4)أنطوان شاتلار: المرجع السابق، ص 25 .

(5) Gorrée: Op cit, P 25.

(6) أنطوان شاتلار: المرجع السابق، ص 26 .

-مدرسة سومير (saumur) (1878-1879):

بعد تخرجه من مدرسة سان سير التحق بمدرسة الفرسان في سومير saumur التي يديرها الجنرال لوت (l'hote) [1] وعندما نقرأ ما كتبه في رسائله إلى صديقة غبريال تورد يبدو أن التمرن على ركوب الخيل يكفي لملئ فراغه في حين كانوا يعتبرونه فارسًا رديئًا[2]، حيث استمر في إهماله لدروسه ودخل حياة الاضطراب من جديد: القمار والتأخر، والغيابات، الفرار ... وقد تلقى على إثرها عقوبات متفاوتة وصلت إلى حد السجن مدة طويلة[3].

تخرج فوكو من المدرسة في المرتبة الأخيرة مع ملاحظة سيئة من طرف مدير المدرسة كتب له: "روح عسكرية قليلة، ليس له وعي الواجب بما فيه الكفاية، يتروي كثيرًا لرغباته، نتائج رديئة..." [4]،بعد تخرجه من مدرسة الفرسان،عُيّن في الفوج الرابع للفرسان بـ سوزان sezanne ثم وبطلب منه يحول إلى بونت أموسور pont Amoussort [5] ،وهناك أخذ يعيش حياة البهجة واللهو، وجد وجد هناك رفاقًا يشاطرونه طيشه إلا أنّ حياة اللهو هذه لم تُفلح سوى في إثارة فراغ مؤلم حيث يذكر في أحد رسائله بأنه اختار العيش في حياة البهجة واللهو لكونه وجد ذاته وحيدا يقول في ذلك : "... أنا الذي كنت أنظم هذه الأعياد ولكنني حينما تُجرى كنت أمضيها في نوع لا حدَّ له من الخرس والاشمئزاز والضجر... وإني لم أشعر قط بمثل هذا الحزن وعدم الإرتياح والقلق إلا في ذلك الوقت"[6].

---

(1) مرموري: المرجع السابق، ص 258 .

(2) قد يكون السبب سمنته المفرطة فلدى وصوله إلى سان سير لم يجدوا لباس يناسب قامته، أراد فوكو إبعاد العزلة والضجر عن نفسه فقام بتنظيم حفلات وأخذ يصرف المال بسخاء كبير لأن في حوزته ثروة طائلة ورثها عن جدّه، ولكنه أخذ يسئ التصرف بهذه الأموال. ينظر ، أنطوان شاتلار: المرجع السابق، ص 26.

(3) Gorrée: Op cit, P 27.

(4) مرموري: المرجع السابق، ص 258

(5) شاتلار: المرجع السابق، ص 27.

(6) Léon Poirier :Opcit, P 35.

ينتقل فوج الفرسان الرابع إلى الجزائر في ديسمبر 1880م ، الذي غير إسمه إلى فرقة صـــيادي إفريقيا الرابعة، وقد كانت هذه أول مرة يسافر فيها إلى بلد عربي [1]، فاستقر به الوضع بســـطيف، واستمر فوكو في سلوك الإضطراب والإنحراف والتبجح في الحياة غير مستقرة وغير منتظمة[2].

أقام فوكو علاقة غير شرعية بُمستوطنة فرنسية [3] فكان لا يستمع لنصائح مسؤوليه ولا لأوامر رؤسائه وتوبيخاتهم، استطاعت أن تثنيه أو تؤثر فيه، فكان مثالاً سيئاً حسب شهادة قريبة الجنـــرال قاملان (gamelin)، رفض الإنصياع واختار الضياع وهكذا طُرد في 20 مارس 1881م بسب عدم الإنضباط وعدم تنفيذ الأوامر[4] .

انتقل إلى "إيفيان" واستمر في حياة الفراغ والشهوات والإدمان والإلحاد إلى درجة لا يعتقد فيها بوجود الإله، ولكنه ما إن استقر هناك أسبوعا أو أسبوعين حتى تلقى رسالة من "سطيف" تُعلمـــه أن قسمًا من سريته كانت على وشك الذهاب إلى تونس فطلب الإلتحاق بها وعلى الفور كتب يطلب تجديد انخراطه في الجيش، ولو يغير رتبته وبأي شروط كانت، على أن يرسلوه إلى حيث الحركة لأنه لا يريد الحياة في ثكنة لكن لم يتسنَّ لهُ الإلتحاق بوحدته من جراء العقوبات التي أنزلت عليه[5].

تلقى فوكو خبر من الجنوب الوهراني عن انتفاضة بوعمامة زعيم أولاد سيدي الشيخ[6]،أنَّ فرقة فرقة الصيادين الرابعة التي كان ينتمي إليها قد عُينت لقمع الإنتفاضة فوجدها فرصة مناسبة للعودة إلى

---

(1) Maurice Serpette:Opcit , P 20.

(2) مرموري: المرجع السابق، ص 258.

(3) عُرفت هذه المرأة باسم "ميمي" تعرض لعقوبات عديدة بسببها، أمضى معظم وقته في السجن، وهناك أصدر اليه ضابطه الأمر بالإنفصال عن تلك المرأة ولكنه احتج بقوله : "أن خدمته لا تعاق بشيء، وأن الأمر يتعلق بحياته الخاصة". ينظر : شاتلار: المرجع السابق، ص 28 .

(4) René Pottier: **La Vocation Saharienne Du Pére De Foucauld**, Plon, Paris, 1939, P 39.

(5) شاتلار: المرجع السابق، ص 30 .

(6) مما لا شك فيه أن هذه الثورة "ثورة أولاد سيدي الشيخ الثانية أو ثورة الشيخ بوعمامة" كانت من أطول الثورات الجزائرية دامت أكثر من ربع قرن من شهر أفريل 1881م إلى غاية وفاة بوعمامة في أكتوبر 1908م. ينظر : مياسي: الإحتلال الفرنسي ... المرجع السابق، ص 271 .

السلك العسكري فذهب إلى باريس ليقدم طلب إعادة إدماجه في الجيش، مُعلنا فيه قبوله لكل الشروط التي ستملى عليه[1].

قُبل طلبَهُ في 3 جوان 1881م وأرجعت إليه رتبته فالتحق بفرقته، فوصل إلى وهران ثم إلى معسكر، وانضم إلى الحملة ضدَّ ثورة الشيخ بوعمامة ليبقى هناك حوالي 8 أشهر في الجنوب الوهراني، وكان من ضمن تلك الفرقة كل من لابرين والضابط المترجم موتلنسكي(Motylinski) والكونت كاستريز(H.Castries) الذين سيشكلان أهم صداقاته فيما بعد[2].

وبعد انتهاء مهمة الفرقة الرابعة عادت إلى حياة الثكنات بمعسكر، هذا الأمر جعل فوكو يقدم طلباً في جانفي 1882م للحصول على عطلة طويلة لتنفيذ "مشروع جدي" [3] ،لكن الطلب رفض وبدون تردد يقدم استقالته ليغادر السلك العسكري للمرة الثانية[4] .

انتهت خبرته العسكرية في الجزائر التي دامت أقل من 18 شهرا، وقد شرح أسباب استقالته في رسالة وجّهها إلى صديقه غبريال تورد في 18 فيفري1882م جاء فيها: "إني أكره الحياة في الثكنة وأجد أن هذه المهنة مزعجة في وقت السلام، وهي حالتنا الإعتيادية ... لذا كنت عازمًا منذ وقت طويل على ترك الخدمة العسكرية يوماً ما، مع هذه الإستعدادات فضلت الذهاب حالا. فما الفائدة من أن أمضى بضع سنوات أخرى، دون أي هدف، حياة لا أجد فيها فائدة . أفضل كثيرا أن أستفيد من شبابي بالسفر فبهذه الطريقة على الأقل سأتعلم ولن أضيع وقتي"[5].

هكذا تظهر دوافع أخرى كرغبته في السفر وعدم إضاعة الوقت ويوجز لنا ما جرى في هذه الفترة من خلال الرسالة التي كتبها في 21 فيفري سنة 1892 إلى صديقه هنري دوفيرييه وأهم ما

(1) مرموري: المرجع السابق، ص 259 .

(2) Gorrée: Op cit, P 30 .

(3) هناك تناقض غريب في أفكاره المتذبذبة بين الحياة المدينة والحياة العسكرية وما ذلك إلا دليل على الصراع النفسي الذي كان يلازمه. ينظر : عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص 110 .

(4) مرموري: المرجع السابق، ص 259.

(5) شاتلار: المرجع السابق، ص 32 .

جاء فيها: " أمضيت سبعة أشهر، أو ثمانية تحت الخيمة في الصحراء الوهرانية، وهـذا أولاني ذوقـا شديداً جدًا للأسفار التي كنت منجذبا إليها دوما، فقدمت استقالتي منذ 1882م لكي ألبّي بحريـة هذه الرغبة في المغامرات"[1].

طبعًا ليس من العبث والصدفة أن يتخذ الشاب الضال فجأة هذه القـرار لتنفيـذ مشـروع مغامرة[2]،ويتخلى بموجبها عن مركزه العسكري ورتبته العسكرية ليتحول من شخص عابث بـالقيم الدينية المسيحية إلى شخص يكرّس نفسه لخدمتها وسط ظروف صعبة جدًا [3].

3-رحلاته:

تتقاطع جُل الكتابات التي تناولت شخصية شارل دي فوكو وسيرته عند الظاهرة السيكولوجية الغريبة التي لازمت حياته وخوضه لمغامرات بهذا الحجم وفي هذا الخطر، هذا الأمر يجعلنـا نطـرح مجموعة من التساؤلات: هل كان ذلك من ضمن الشروط التي قرأت عليه لإعادة إدماجه في الجيش؟ وكيف يسمح له بمغادرة الجيش بدون متابعة وللمرة الثانية ؟ وهل استقال فعلاً أم هي مجـرد تغـيير وظيفة تبعا لشروط المذكورة ؟ لماذا اختار المغرب بالذات؟ .

لقد حاول بعض كتاب السيرة الذاتية الذين تناولوا سيرة فوكو معظمهم من رجال الـدين أن يقتنعوا بتفسيرات روحية ومعنوية وحتى حماسية في بعض الأحيان[4]، ومن بين تلك الكتابات ما جاء في كتاب Gorrée بقوله: "بداية الهدى ...والتمسك بالعادات العائلية الفخرية ... وشعار الأشراف الفوكولديين: إلى الأمام دوما" [5]، بينما يرى Potier أن المواجهة مع أولاد سيدي الشيخ كانـت

(1) René Bazin : Op cit, P 72 .

(2) مرموري: المرجع السابق، ص 260 .

(3) عبد السلام بوشارب: المرجع السابق، ص 110.

(4) هناك تناقض مزدوج حول شخصيته ونظرا لغرابة تحوله من رجل عسكري إلى مغامر واختياره لبلاد المغرب هذا الأمر جعل الأستاذ مرموري يطرح العديد من التساؤلات. ينظر : مرموري: المرجع السابق، ص 260 .

(5) Gorrée :Op cit, P 31.

كافية لحدوث هذا التحول بقوله: "لم تعد الشهوات تغري الذي جاء من المقاومة والقتال ...غـــادر السلك العسكري لكي يقوم برحلة دراسة ... الشرف الحقيقي للحرب الذي ينتهي بالدم إلى السلام قد جعله يكره هذا الشرف الذي يمكن الحصول عليه في المطاعم وأماكن اللذات والشهوات التي يحوز عليها كل من ملك ذهبًا. ثم قَتل(فوكولد) في نفسه الرجل الشره الشهواني، المتباهي، سيعيش من الآن بخيلًا وسينام على الأرض... "[1].

أ/– رحلته إلى بلاد المغرب (1883م–1884م):

بدأ دي فوكو في التحضير لرحلته إلى المغرب بدراسة الخرائط الجغرافية والمراجع التي تتضـــمن معلومات عن سكان المنطقة ،عاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم ولهجاتهم وغيرها[2]، وقد ساعده في ذلـــك أوسكارماك كارثي (oscar mac carthy) الذي كان محافظ مكتبة قصر مصطفى باشـــافي تلـــك الفترة[3].

تعلم فوكو اللغتين العبرية والعربية، كون سكان المغرب من المسلمين وأقلية يهودية، لم يـــدخل المغرب في شخصيته المسيحية الفرنسية، بل تنكر في شخصية يهودي، في هذا الصدد تقـــول مـــاري آندي (marie andré): "بعد تفكير ومشورة اهتدى دي فوكو إلى حل وهو التنكر في شخصـــية يهودي فاقتنى ملابس إسرائلية: قميص أبيض بكمين طويلين وبرنس، عمامة سوداء، وخفين وقلنسوة حمراء (رجل دين) وأطلق شعره"، كما قلد اليهود في عاداتهم وطباعهم وتقاليدهم الدينيـــة وكأنـــه يهودي أصيل[4].

أشار دي فوكو في كتابه :"Reconnaissance Et Itinéraire Au Maroc" (التعـــرف على المغرب) أن سبب اختيار التنكر في شخصية يهودي دون غيره ذلك أن التنكر في شخصية مسلم

(1) René Pottier:Op cit, P 44.

(2) عميراوي وآخرون: المرجع السابق، ص 115.

(3) Bazin : Op cit, P 20 .

(4) Marie André: Op cit, P 18.

أصعب من التنكر في شخصية يهودي، حتى لا يُفتضح أمره، إضافة إلى أن اللباس اليهودي أكثر راحة مما سمح له بالتحرك في حرية وتسجيل معلومات خفية دون إثارة الشكوك[1].

استغل دي فوكو في هذه الرحلة اليهود فزودوه بمعلومات دقيقة عن المنطقة ما كان ليحصل عليها لو تنكر في شخصية مسلم، إضافة إلى أن دليلة في الرحلة كان يهوديا وهو الحاخام مردوخ Mardochee Abiserour [2] وفي هذا الصدد يقول pottier: " من الصعب جدا لفرنسي وإن كان ملحدا ...أن يقبل تقمص يهودي ... إنه في الواقع التنكر الذي وجب على فوكولد القيام به إذا أراد التوغل في المغرب"[3].

بعد أن أنهى التحضيرات إنطلق يوم 10 جوان 1883م من الجزائر في رحلته التنكرية واسمه المستعار الحاخام Joseph Alman رفقة مردوشي Mardochée ليصلا وهران في نفس اليوم ثم تلمسان وهنا صادفه زملاؤه في الجيش لكنهم لم يتمكنوا من التعرف عليه[4]، حيث يقول: "بدأنا مباشرة نبحث عن يهود وادي ريغ ... عندما مرت أمامنا مجموعة من ضباط صيادو إفريقيا، أعرفهم جميعا تقريبا، نظروا إلي جيدا دون أن يشكوا من أكون"[5].

(1) كان دوفوكو يحمل معه دفترا صغيرا من 5x5 سم وقلم رصاص قصيرا يسجل به رؤوس المسائل والأيام والمراحل التي قطعها وآلة علمية للإشتغال في الميدان . ينظر : ف.شارل دوفوكو: **التعرف على المغرب 1883-1884**، تر: المختار بلعربي، ج1، ط1، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر دار الثقافة، المغرب، 1419ه/1999م، ص 5.

(2) تشير ماري آندري (Marie André) في كتابها: أن دي فوكو تعرف على مردوخ اليهودي في مدينة سطيف بالجزائر في رحلته الأولى سنة 1880م. ينظر:op cit, p18:marie andré في حين يشير كل من روني بازن وبوتيار أن دي فوكو تعرف على مردوخ عن طريق أسكار (oscar) في مكتبة قصر مصطفى باشا في فيفري سنة 1883م. ينظر:

Pottier : Op cit, P 45 . Bazin : Op cit, P 22.

(3) Pottier: Ibid, P 45 .

(4) مرموري: المرجع السابق، ص 262 .

(5) ف.شارل دوفوكو، المصدر السابق، ص 11 .

غادرا تلمسان في 14 جوان ليصلا "لالة مغنية" في الحدود الجزائرية المغربية ومنها يعبران الحدود إلى نمروس ثم طنجة على طريق البحر يوم 20 جوان، ورغم صعوبة الدخول إلى المغرب للقادمين من الجزائر التي كانت مستعمرة فرنسية إلا أنهما مرا بسهولة دون أن يُكشف أمرهما [1].

يُغادران طنجة في قافلة صغيرة نحو تطوان التي بقيا فيها عشرة أيام وفي هذا الصدد يقول: "غادرت المدينة في الساعة الثالثة زولا، تتكون قافلتي من 6 أو 7 رجال أغلبهم من اليهود و 10 دواب حمل ..." ثم توجها إلى فاس ومكث فيها طويلا"[2].

إستطاع فوكو أن يقوم باستطلاعين الأول إلى "تازة"[3] والثاني إلى "سفرو"[4]، زار في الطريق إليها كل من مكناس وزاوية مولاي عبد الرحمان، تادلة، وقد قدم فيها وصفا للوضع السياسي والإجتماعي ووجه انتقادات شديدة لسياسة السلطان وتعسف رجاله وجبروتهم وتشديدهم على الضرائب دون النفقة في الصالح العام، إلى جانب مكانة اليهود ووضعيتهم[5]، كما قدم معلومات عن بعض القبائل المسيطرة ومجالها الجغرافي قائلاً: "أخذنا طريقنا من مكناس إلى تادلة، لا يوجد سوى غابات وجبال تسكنها قبائل متوحشة، زمور الشلاحة، زيار زيان، بالمنطقة سهل كبير من الحصى ويستوي على مساحة عظيمة"[6].

كما قدم وصفًا دقيقًا لمنطقة "تيكيرت " الصحراوية من الناحية الجغرافية والمناخية، وقد تعرض لمحاولة سطو إذا اقترح أحد زعماء القوافل الذين صادفهم في الطريق على حماته المستأجرين أن يتقاسم

---

(1) Gorrée: Op cit, P 39 .

(2) شارل دوفوكو: المصدر السابق، ص 11 .

(3) **مدينة تازة:** تقع المدينة على صخر، على ارتفاع 83 مترا فوق مجرى واد تازة وعلى ارتفاع 130 متر فوق نهر إتاون، تحيط بها أسوار مزدوجة في عدة أماكن. ينظر: شارل دوفوكو: المصدر نفسه، ص 42 .

(4) يصف فوكولد مدينة سيفرو وسكانها ومدى إعجابه بحدائقها وأشجارها ومساجدها والزوايا والمعالم الموجودة بها. ينظر : دوفوكو:المصدر نفسه، ص 52 .

(5) مرموري: المرجع السابق، ص 263 .

(6) دوفوكو: المصدر السابق، ص 54 .

معهم الغنيمة لكنهم رفضوا وواصلوا الطريق نحو تازنخت Tazenakht التي تعود سيادتها إلى قبيلة زناقة Zenaga في الجنوب المغربي[1].

توغل فوكو أو الخاخام Joseph في الصحراء المغربية بفضل هذه القبيلة واستطاع أن يزور أماكن عديدة[2]، وتمكن من الحصول على معلومات وافرة حول الأماكن البعيدة التي لم يزرها كتمبكتو فقدم لنا وصفا عن المناطق المجاورة لها بقوله:" الصحراء والنخيل هي حدود الأطلس الصغير من الجنوب تحت السلسلة يبدأ سهل واسع لا ينتهي، تموجات رمادية نحو الجنوب على مدى الأفق يقطعها واد "الدرا" ثم هاهي الصحراء الكبرى التي تمتد إلى السودان، جبال حقيقية (صخرية) تمتد من هنا إلى تمبكتو: سهل متموج وموحد في مكان، رملي حجري، عاري، لم يبق في الحياة سوى بعض الواحات التي تتخللها من مكان إلى آخر كبقع سوداء. الواحات قليلة جنوب واد "الدرا" لكنها كثيرة شماله، لقد زرت الكثير من هذه الأخيرة تيسنت[3]، طاطا[4]، أقا[5]، مغيميما[6]، زرت مجرى مجرى وادي "الدرا" إنه جاف وعريض بأكثر من 3 كلم، منذ مدة شهرين وأنا أتجول في هذه المنطقة الهامة وغير المستقلة "[7].

---

(1) Gorrée : Op cit, P 39 .

(2) مرموري: المرجع السابق، ص 264 .

(3) **تيسنت** : إحدى الواحات الكبرى لصحراء المغرب، توجد بجوانبها تلال صخرية عند الجنوب ورملية عند الشرق. ينظر : دوفوكو: المصدر السابق، ص 161 .

(4) **طاطا:** أوسع الواحات الموجودة بين درعة والمحيط الأطلسي وتتكون من جزئين، يشتمل الجزء الشمالي على عدة مواضيع منتشرة على ضفاف 3 مجاري سكانها خليط من الحراطين والشلوح مع الغلبة العددية للعنصر الآخر . ينظر: دوفوكو: المصدر نفسه، ص 191 .

(5) **أقا** : يوجد بمدينة أقا قصور عديدة ومن أهمها، تكاديرت، توررت، ارحال، الزاوية، القصبة، أكدير، القباية، آيت جلال. ينظر : دوفوكو: المصدر نفسه، ص ص 200، 201 .

(6) **مغيميما:** قرية صغيرة بنيت من المقدار تتكون من مجموعة بنايات واطئة تتبؤ وسطها منارة المسجد الكبير. ينظر: دوفوكو: المصدر نفسه، ص 218 .

(7) Gorrée: Op cit, P 39 .

وصل فوكو ورفيقه إلى أغادير في ديسمبر 1883م ثم غادراها إلى "تيزيت" يوم 3 جانفي 1884م واتجها نحو الغرب ليعبر وادي السوس ومرتفعات الأطلس الكبير، ليستقر بـ"ماغادور" في فندق يمتلكه يهودي إسباني، في انتضار الرد على رسالته التي بعثها إلى فرنسا طالبا التمويل الذي جاءه بعد 45 يوما من الإنتظار[1] فأخذ طريقة نحو الصحراء وعاد إلى "تيسنت" ومنها أخذ طريق الشمال الشرقي ليصلا إلى "تازنخت" للمرة الثانية ويوصلا طريقهما مرورا بمزكيطة، جبل ساغو، تاوريرت، قصر السوق، الأطلس الكبير على تيزي تلغنت على ارتفاع حوالي 2182م ثم قصر المخزن ودبدو، تعرض في هذا الطريق لمحاولة سطو ثانية لكن هذه المرة عن طريق اثنين من حراسه الثلاثة كاد أن يُقتل لولا زميلهما، ومن حسن حظه أيضا كانت الحادثة بالقرب من الحدود الجزائرية على بعد مسيرة ثلاثة أيام من لالة مغنية[2]، وفي هذا الصدد يقول دوفوكو: "وصلت إلى دبدو وقد سُلبت مني جميع أموالي و لم أعد أملك ولا قرشا واحدا، كان من الممكن أن أكون مرتبكا لم أكن قرب الحدود، إلا أنه من حسن الحظ لم أكن إلا على بعد 3 أو 4 أيام سيرا من لالة مغنية، إذن بعث بغالي وما حصلت عليه من هذه العملية وفرلي من المال ما يسمح لي بالوصول إلى الحدود الفرنسية بواسطة كراء بهائم"[3].

وقد غادر وجدة واتجه نحو مغنية في يوم 23 ماي 1884م ، وافترق مع دليله ورفيقه الذي لا يحتمله الحاخام Abi Serour على مدى 11 شهرا وهو في حالة تسرد مزرية، لباس ممزق وأقدام حافية، لحية يهودية، حاول دخول الفندق فمنعه صاحبه وأجابه عن طريق صاحب الفندق أن الرائد Lavergne لا يستطيع أن يستقبل أشخاصا لا يعرفهم، وما هي إلا لحظات ليعود صاحب الفندق

(1) أنطوان شاتلار: المرجع السابق، ص 40 .

(2) مرموري: المرجع السابق، ص 265 .

(3) دوفوكو: المصدر السابق، ص 338 .

بورقة كتب عليها: "الكونت شارل دي فوكولد ملازم أول كتيبة الصيادين الرابعة " فـأمر الرائـد بإعطائه الغرفة وكل ما يلزمه[1].

طُرحت على فوكو مجموعة من الأسئلة من طرف الجنود الفضوليين حول رحلته الغريبـة إلى المغرب و لم يجبهم سوى بـ"الجمعية الجغرافية بباريس والسيد دوفيريـة M.Duvegrier اللـذان أرسلاني إلى المغرب، وما دام لم يُنشر عملي، فإن الواجب يمنعني من الحديث عنها"[2].

انتهت مغامرته، وأُلغي عنه المجلس التأديبي لعقوبة الحضر القانوني، ويعود إلى فرنسـا ليقابـل شخصيات الجمعية الجغرافية التي منحت له الميدالية الذهبية الكبرى وأصبح يطلق عليه إسـم كـبير المغاربة[3].

لقد قطع دي فوكو خلال هذه الرحلة 2800كلم[4] ،قدم للسلطة الفرنسية معلومات قيمة عن قبائل المغرب وإمكانيات دفاعهم عبر الممرات والمعابر المختلفة وأيضا ملاحظات فلكيـة ومناخيـة وأرصاد جوية[5] كما توجت رحلته بكتاب ضخم تحت عنوان "reconnaissance au maroc" الذي نشر سنة 1888م ،وسبقه مقال نشر في مجلة الجمعيـة الإفريقيـة بعنـوان " itineraire au maroc " يلخص فيها أعمال ورحلة المغامر[6].

قدم دي فوكو خدمةً جليلةً للسلطة الفرنسية في تلك الفترة، حيث كانت التقارير التي كتبـها عن سكان المناطق المغربية التي كان يمر بها خلال رحلته، وخرائط الطرق والمعابر التي رسمهـا دلـيلاً

(1) دوفوكو: المصدر نفسه، ص 348 .

(2) Pottier : Op cit, P 51 .

(3) Gorrée : Op cit, P 52 .

(4) ينظر الملحق رقم (02):خط سير الأب دي فوكو إلى المغرب1883-1884م.

(5) عميراوي وآخرون: المرجع السابق، ص 117 .

(6) مرموري: المرجع السابق، ص 267 .

اعتمد عليها جيش الإحتلال الفرنسي في غزوه للمغرب سنة 1912م[1]، وهذا ما يوضح لنا علاقته بالإحتلال والهدف من رحلته، هذا الهدف الذي تبلور بصورة فعلية وفعالة في صحراء الجزائر أثناء استقراره بها لمدة طويلة .

ب/–رحلته إلى الجنوب الجزائري:

أصيب شارل دي فوكو في نهاية جويلية سنة 1885م بمرض ،وبعد فترة النقاهة سافر وحده إلى جنوب الجزائر لكي يراجع الملاحظات التي استقاها في المغرب، استغرق سفره ثلاثة أشهر ونصف من تيارت إلى أفلو ثم إلى غرداية وهناك انضم إلى فيصل من الجيش كان منطلقا بمهمة إلى "القولية"، ثم استأنف الفصيل سيره وبلغ إلى ورقلة ومن هناك ذهب الجيش إلى غرداية، أما شارل دي فوكو فتوجه شرقا إلى تونس عبورا بتقرت والوادي والجنوب التونسي، انتهت هذه الرحلة الطويلة في الصحراء بانتهاء سنة 1885م[2].

جـ/– العودة إلى الوطن الأم "فرنسا" (الطريق إلى الرب):

عاد إلى فرنسا في بداية سنة 1886م ،بعد أن قضى وقتاً طويلاً في جو عائلي بين نيس وباريس تعرف على القس هوفلان (huvelin) [3] وبفضله شعر برغبة حقيقية لإصلاح تصرفاته فأخذ يتردد على الكنائس، وبدأ رحلة البحث عن "الرب" وامتص هذا البحث كل تفكيره .

---

(1) ف.شارل دوفوكو: **التعرف على المغرب 1883–1884 (الأطلس)**، تح وتر: محمد بلعربي، ج2، ط1، دار الثقافة، المغرب، 1419هـ/1999م، ص ص 16، 17، .

(2) وضع دي فوكو مخططا لهذا السفر الطويل ،نشر في باريس سنة 1885م. ينظر: انطوان شاتلار: المرجع السابق، ص40.

(3) **هوفلان:** هو كاهن في كنيسة القديس أو غسطين في باريس، انكب على علم التاريخ واختص باللغة اليونانية القديمة، كان مطلعا على النزاع القائم آنذاك في كنيسة فرنسا بسبب اعتقاد البعض يتباعد الفكر عن الإيمان و لم يتحيز لأي فئة، بل كان مرشدا ومخلصا لمن كانوا مختلفين في أفكارهم. ينظر: Bazin :Op cit, P 90.

قرر بعدها أن يتعلم دروساً دينية كاثوليكية، وعـــاد إلى كنيســـة Saint Angstin ليتلقـــى شروحات من القس هوفلان حول الدين والإيمان، وعليه قام فوكو في أكتـــوبر 1886م بالقربـــان المقدس الثاني في حياته والأول في مسيرته الدينية [1].

أصبح فوكو منذ ذلك الوقت يَحضُر يومياً للقداس والصلاة والتراتيل المقدسة، تحول من ملحد، عسكري عاصي، مغامر إلى راهب ومسيحي ملتزم، حيث يرجع pottier هذا التحول إلى الظروف التي عاشها أثناء تواجده بسطيف ومدى تأثير المسلمين الذين التقى بهم فقد سمعهم ينشدون المـــدائح الدينية، وما شاهده من مناظر ومظاهر أثناء مغامرته في المغرب [2].

د/-رحلته إلى بلاد الشام (1888م-1900م):

-رحلته إلى بيت المقدس(1888م-1900م):

كانت زيارة دي فوكو إلى أرض فلسطين استجابة لطلب قس كنيســـة ســـانت أو غســـطين (Saint-Augustin) الذي ألح عليه كثيرا من أجل زيارة مهد المسيح، فوصل مدينة بيـــت لحـــم مسقط رأس المسيح سنة 1888م أيام أعياد الميلاد ومكث بها ثلاثة أشهر[3] ليعـــود الى بـــاريس في مارس 1889م ويجنده القس هوفلان لدراسة دعوته في الخلوة [4].

رجع دي فوكو للمرة الثانية إلى أرض فلسطين سنة 1897م، حيث انطلق من إيطاليا مـــرورا بالإسكندرية إلى أن وصل إلى فلسطين، وقد زار عددا مـــن مـــدنها مثـــل : جيفـــا Jaffa، رام الله Ramleh، سانت جان Saint Jean، واستقر في مدينة قريتجات، قام بكل هذه الرحلة سيرًا على الأقدام[5].

---

(1) مرموري: المرجع السابق، ص 269 .

(2) Pottier : Op cit, P 119 .

(3)عميراوي وآخرون: المرجع السابق، ص ص 117، 118 .

(4) Gorrée : Op cit, P 68 .

(5) مرموري: المرجع السابق، ص 272 .

وجد دي فوكو عملاً متواضعاً في الكنيسة، كان الفضل في ذلك للأم الراهبة سانت ميشال (Saint Michal)، اتخذ كوخا صغيرا في فناء الكنيسة فجعله بيته وديره للعبادة[1]، يقول في رسالة له إلى أخته ماري (Marie) وزوجها بليك (Blic): "وصلت إلى هذا المكان دون أن تكون لي حرفة أو شهادة أو وثائق عدا جواز سفري، ومنذ سادس يوم على وصولي، لم أجد ما أكسبه به معاشي فحسب بل ما أكسب به وفي أحسن الظروف التي طالما حلمت بها لسنين طويلة ... إنني خادم لمجتمع ديني فقير"[2].

-رحلته إلى سوريا (1890م-1900م):

اتجه دي فوكو سنة 1890م إلى سوريا، وانضم إلى إحدى المجموعات الدينية المسيحية، قام بأعمال شاقة لكي يُطهر نفسه، وقد مكث طيلة عامين على هذه الحالة، تقلد ضمن هذه المجموعة الدينية في سنة 1892م منصبًا دينيًا هامًا[3]، ظل يمارس مهامه الدينية من خلاله إلى شهر سبتمبر 1896م، ليغادر سوريا إلى مرسليا في أوت 1900م [4].

4- مخلفاته وآثاره:

جزء هام من حياة شارل دي فوكو يجهله الكثير، ألا وهو إبداعه وموهبته العالية في الكتابة، ولعل من قرأ كتاباته أدرك حسه المرهف وأسلوبه البسيط في سرد الأحداث وقدرته على تصوير الواقع في شكل متقن ومبسط.

يُعد كتاب **"استطلاع المغرب" أو التعرف على المغرب وبيان خط سير الرحلة (Reconnaissance Et Itinéraire Au Maroc)** أضخم كتاب ألفه أثناء رحلته إلى

(1) عميراوي وآخرون: المرجع السابق، ص 118 .

(2) Bazin : Op cit, P 65 .

(3) عميراوي وآخرون: المرجع السابق، ص 119 .

(4) Marie André : Op cit, P 31 .

المغرب، اهتم بكل أشكال التنظيم الإجتماعي وجميع مظاهر الحياة الدينية وأهم المؤسسات المغربية[1]، صدر هذا الكتاب سنة 1888م في باريس ،احتوى على 495 صفحة و4 صور و101 رسم وهي عبارة عن خرائط رسمها شارل دي فوكو، تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية سنة 1999م[2].

كتب دي فوكو صلوات كثيرة من أشهرها صلاة "**تسليم الذات**"، تنوعت رسائله واختلفت مواضيعها فمن الناحية الدينية نجد أن رسائله كانت موجهة إلى الأب "هوفلان" والأب "غيران" الذي بلغت رسائل دي فوكولد إليه حوالي 154 رسالة وكذا رسائله العديدة إلى راهبتي الناصرة والقدس، أما من الناحية العلمية فمراسلاته كانت مع "ريني باسط" أستاذ في –جامعة الأدب بالجزائر– تهدف إلى تحقيق العمل اللغوي خاصة من حيث الشكل وطريقة التناول، أما رسائله العسكرية فكانت كثيرة خاصة في الفترة ما بين 1914م و1916م لما تميزت به هذه الفترة من اضطرابات سياسية وعسكرية[3].

كما كانت هناك مراسلات عديدة بينه وبين ابنة عمته ماري دي بوندي حيث كان يطلعها باستمرار عن كل ما يقوم به وما يشغل باله من مشاريع وأسفار[4].

اهتمام شارل دي فوكو الكبير بالتوراق ولغتهم ومنطقتهم، أسفر عنه كم هائل من الأعمال اللغوية تمثلت فيما يلي:

-**قاموسين**: "**تارقي–فرنسي**"، "**فرنسي–تارقي**"[5]، وقد شغل هذان القاموسين حيزا هاما من حياة شارل دي فوكو، ثم طبعهما سنة 1952م من طرف المطبعة الوطنية في باريس[6].

---

(1) René Bazin : Op cit, P 495 .

(2) دوفوكو: المصدر السابق، ص 5 .

(3) ينظر الملحق رقم(17): رسالة الأب غيران إلى شارل دي فوكو.

(4) Bazin : Op cit, P 495 .

(5) ينظر الملحق رقم (19): صفحة من القاموس الذي كتبه شارل دي فوكو التارقي–الفرنسي .

(6) محمد الطاهر عزوي: **الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي** دار الهدى، عين مليلة (الجزائر)، 1999م، ص99 .

-قاموس ملخص لأسماء العلم: طبع سنة 1940م تحت عنوان "**قاموس ملخص تـــارقي– قـــاموس فرنسي لأسماء العلم**" تضمن 363 صفحة، خصصت منها 274 صفحة لأسماء الأمـــاكن والقـــرى وأسماء جغرافية عامة، 70 صفحة لأسماء الأشخاص 19 صفحة لأسماء الحيوانات مع ملحـــق يضـــم خريطة لمنطقة الأهقار وبلاد التوارق .

-**قاموس قواعد اللغة التارقية**: نشر في 1920م بالجزائر واحتوى على 169 صفحة، ضم تصريفا لمجموعة من الأفعال أخذ منها 500 فعل .

كما ترك فوكو ملاحظات حول معايير الرصد الجوي (اتجـــاه الريـــاح، الحـــرارة، الضـــغط ...الخ)سنة 1911 م من أجل عصرنة الصحراء ،وبقيت معتمدة كوثائق جادة حول الكشف الجوي حتى بعد 20 سنة من وفاته مثل: ارتفاع الأسكرام حدده بـــ2800م (ارتفاعا) وبقي كـــذلك دون أي محاولة لتجديده ، ترك دي فوكو أيضا نصوصا تارقية مترجمة إلى الفرنسية نشرت في مجلدين من الشعر والنثر التوارقي، بلغ مجموع صفحاتها 1450 صفحة [1].

والواقع أن آثار الأماكن التي عاش فيها شارل دي فوكو ما زالت قائمة إلى يومنا هذا ولعـــل أهمها وأشهرها:

-**بيت بني عباس** [2] الذي كان يدعوه "الاخوة" وعاش فيه قرابة أربعة سنوات، اختار له هذا الاسم لانه بشير الى كونه أخو جميع البشر، وفيه بدأ ببمارسة حياته الكهنوتية في الجزائر.

-**بيت عين صالح** في "قصر العرب" الذي اشتراه سنة 1907م، و لم يبق أي أثر له فقد غطته تمامـــا الكتبان الرملية.

(1) Maurice, Op Cit, P 154.

(2)ينظر الملحق رقم (14)غرفة شارل دي فوكو حاليافي بني عباس(بشار).

-**بيت تمنراست**[1] : هو ذلك البيت الصغير الذي بناه سنة 1905م ثم قام بتوسعه سنتي 1907م و1910م يدعى "الفرقاطة"، عاش فيه الأب مدة طويلة وهو حاليا موجود في أحد أحياء تمنراست "حي قطع الواد" ويشرف عليه مجموعة من الإخوة والاخوات البيض وعلى رأسهم الأب أنطوان شاتلار.

-**البرج أو الحصن** الذي شيده لحماية سكان القرية، وقام بناءه في 17 أوت 1915م بوسائل بسيطة معتمدا على معونة سكان القرية، استقر به يوم 23 جوان 1916م وهو يقع في الضفة اليمنى من الوادي على بعد 570متر، وهو أكبر من الحصن القديم الواقع على الضفة اليسرى وهو الآن في وسط المدينة، حفظ بصفته أثر تاريخي[2].

-**ملجأ جبال الأسكرام**[3]: هو من أشهر المواضع التي عاش فيها شارل دي فوكو، يبعد حوالي 80كلم شمال شرقي تمنراست، واختيار دي فوكو لهذا المكان يعود إلى موقعه الاستراتيجي البديع والرؤية التي يحظى بها المرء من قمة هذا الجبل[4]، وقد استقر به في 04 جويلية 1911م، لم يسكن فيه طويلا بل كان يتردد عليه مرات فقط، وبعد وفاته واصلت جماعة بعثة الاخوة الزرق نشاطاتها بتمنراست حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ومع بداية 1950م عاد الإخوة الزرق ليستقروا بالأسكرام في اقامة مجاورة لخلوة فوكو التي أصبحت مع الزمن مكانا يقصده السياح من كل أنحاء العالم[5]، وبخصوص قبر شارل دي فوكو فهو الآن موجود في القولية (المنيعة) [6].

(1)ينظر الملحق رقم (09):بيت شارل دي فوكو في تمنراست.

(2) ينظر الملحق رقم (11): البرج أو الحصن الذي شيّده شارل دي فوكو.

(3) ينظر الملحق رقم(10):ملجأ الأسكرام.

(4) شاتلار: المرجع السابق، ص 285 .

(5) بوشارب: الهقار...، مرجع سابق، ص 125 .

(6) ينظر الملحق رقم (13): قبر شارل دي فوكو المتواجد في المنيعة .

الفصل الثالث

النشاط التنصيري لشارل دي فوكو في الصحراء الجزائرية

1 -مبادئ شارل دي فوكو التبشرية الإستعمارية .

2 -إستقرار دي فوكو واندماجه في المجتمع الصحراوي.

أ -استقراره في بني عباس1901-1903

ب -أسباب ودوافع استقراره في الهقار .

ج -استقرار شارل دي فوكو في الهقار.

3 -سياسة التنصيرية والإستعمارية في الصحراء .

4 -رد فعل سكان الهقار ونهايته .

الراهب أو الجاسوس شارل دي فوكو شخصية إستعمارية مزدوجة الأدوار غريبة الأطوار، فبعد حياة حافلة بالمجون والعربدة والتقلب في شتى الوظائف الدينية والعسكرية يعود إلى الجزائر لخدمة طموحاته الشخصية وتحقيق مآرب المستعمر التوسعية عن طريق التنصير .

1- مبادئ شارل دي فوكو التبشيرية الاستعمارية :

تُعد حياة شارل دي فوكو جزءًا لا يتجزأ من شعودة الدجالين التي ألحقت أضرارا كثيرة بالشعب الجزائري مدة 132 سنة[1]، ونظرًا لغرابة هذا النموذج البشري[2] فقد استرعى اهتمام الكثير من الكتاب والباحثين فمنهم من وصفه على حقيقته ومنهم من تشيع له وأظهره بمظهر الناسك البرئ[3].

من بين الكتابات التي نشرت على الساحة الوطنية وأثارت نقاشا حول حقيقة شارل دي فوكو نذكر منها مقال للسيد ج.كوكياس الذي نشر في الجريدة الأسبوعية (الجزائر الأحداث) تحت عنوان : سيرة شارل دي فوكو الهائجة، تبعه مقال آخر للسيد : رامبو أسقف الأغواط استطرد فيه الكتاب قائلا: "... ونحن نعرف أن الناسك الكبير كان فاجرا يلهث وراء الملذات ويدفع قطعا ذهبية للمغنيات ..." [4].

ومن الكتابات التي صدرت بأقلام فرنسية وعملت هي الأخرى على فضح حقيقة شارل دي فوكو نذكر منها ما كتبه عبد السلام بوشارب نقلا عن شارل لوروا بقوله: "إننا نستغرب كيف منح

(1) لم يبلغ شارل دي فوكو درجة الكاردينال لافيجري في المنصب الديني الرسمي ولكنه بلغ درجته في الشهرة والخدمات التي أداها للكنيسة من جهة والإدارة الاستعمارية من جهة أخرى. ينظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص 133 .

(2) تكمن الغرابة في شخصيته المضطربة بأفكار متذبذبة بين الخطيئة والإيمان وبين الحياة المدنية والحياة العسكرية. ينظر: عبد السلام بوشارب: "**شارل دي فوكو ودسائس الاستعمار في منطقة الهقار**"، مجلة أول نوفمبر، ع 161، طبع بمطبعة هومة، الجزائر، 1999م، ص 8 .

(3) أغلب الكتابات الفرنسية حملت في طياتها مغالطات تاريخية حول هذا الشخص قصد طمس المعالم والمبادئ التي جاء لغرسها في وسط المجتمع الصحراوي الجزائري، ينظر : عبد السلام بوشارب: الهقار أمجاد ...، مرجع سابق، ص 119 .

(4) عبد السلام بوشارب: شارل دي فوكو ودسائس ....،مرجع سابق ،ص 10.

الفاتيكان القداسة لفوكو الصعلوك، وما هي الأسباب التي أهلته لنيل تلك الدرجة الرفيعة، هل بسبب ماضيه السيئ الذي يزخر باحتياطي هائل من الخطايا والرذائل والخبث والنفاق مما شهد له به معاصروه، أم لحاجة في نفس يعقوب؟..."[1].

ورغم وجود حقائق واضحة عن الأسباب التي دفعت بشارل دي فوكو إلى القيام بنشاطاته التبشيرية الاستعمارية[2]، إلا أننا نجد بعض الكتاب الفرنسيين يحاولون التضليل عن طريق المؤلفات والإدعاءات التي أصدروها منهم إيمانويل قريفن (Emmannel Grevin) حيث يقول : "إن الناسك دي فوكو كان يخشى الصحراء ويخاف من خطرها، ولا يمكن احتلالها..."[3].

ومنهم أيضا الكاتب الفرنسي أنطوان شاتلار الذي ذهب إلى تأويلات عديدة مقدسًا لشخصية شارل دي فوكو في قوله : "... الرجل العبقري الذي يكون قد أدرك كل شيء قبل الآخرين، رجل في الطليعة من الكنيسة والتزامه بالسياق الاستعماري أثار عجب البعض واستياء الآخرين، وقد جعلوه مثالاً لخطة إرسالية تعمل في الخفاء أو نصيرا لكرازة ضرورية. لا شك أن ثمة جملاً كثيرة وردت في كتاباته ... وقليلون هم الذين عرفوا أن يعيدوه إلى السياق الدقيق لذلك العصر..." [4].

ومن الذين دافعوا بحماس عن شارل دي فوكو الكاتب العربي علي مراد (Ali Merad) في كتابه شارل دي فوكو في نظر الإسلام (Charles De Foucauld Au Regard De L'islam) الذي أظهر لنا مدى إعجاب المسلمين بشارل دي فوكو[5]، وقد تلقى ردًا لاذعا من

(1) عبد السلام بوشارب: الهقار أمجاد ...، مرجع سابق، ص ص 118-119.

(2) **التبشير**(**Evangelisation**): في معناه الأصلي والاستشقاقي هو الدعوة لأتباع ما جاء به الانجيل من عقائد وتعاليم، فلفظه الانجيل ذاتها تفيد معنى التبشير، أي حمل الناس بصورة أو بأخرى-فرادى أو جماعات من عقيدة ما إلى العقيدة المسيحية. ينظر: مصطفى الخالدي وعمر فروخ: **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، ط5، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1973م، ص 253 .

(3) Emmanuel Grevin: **Voyage Au Hoggar**, **Librairie Stock**, Paris (France), 1936, P 32 .

(4) أنطوان شاتلار: المرجع السابق، ص 289 .

(5) Ali Merad: **Charles De Foucauld Au Regard De L'islam**, 1975, pp 81-82 .

طرف جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 1985/12/28 تحت عنوان: ولن ترضى عنك اليهود ولا نصارى[1].

لقد كان شارل دي فوكو متشبعًا بالفكر الصليبي الحاقد على الإسلام والخادم لأغراضه الشخصية، لهذا سعى إلى محاربة العقيدة الإسلامية لمعرفته التامة بصلابة وقوة وتشكل الدرع المتين لمواجهة كل من يحاول تشتيت صفوف المسلمين، وهي الحقائق التي وقف عليها خلال رحلاته إلى بلاد المغرب وبلاد الشام، واطلع عليها من خلال قراءاته لما كتبه المستشرقون عن الإسلام وتعاليمه[2].

لقد قدمت له السلطات الفرنسية كل التسهيلات والإمكانيات للقيام بمهمته، بعد أن خابت جهوده التبشيرية في سوريا، في الوقت الذي كان فيه الأتراك يقتلون المتسترين تحت الشعارات المسيحية لإثارة القلاقل بين المسلمين والمسحيين[3].

ظل شارل دي فوكو في نظر الكنيسة رجل دين كبير، أما في نظر فرنسا فهو وسيلة كبرى من الوسائل لتحقيق أطماعها الإستعمارية التوسعية التي تبنتها، ولعل ما يوضح ذلك مضمون الرسالة الشهيرة التي بعث بها إلى الرهبان الجزائر والتي يقول فيها: "إنني سميت لتحقيق الفتح معكم ولجعل الأرض الجزائرية مهدا لأمة عظيمة سخية مسيحية فرنسية أخرى..." [4].

أما المحاور التي ارتكزت عليها مبادئ فوكو التبشيرية الاستعمارية فتتمثل في البنود التالية :

---

(1) عبد السلام بوشارب: الهقار ...، مرجع سابق، ص 119 .

(2) تعمق فوكو في معرفته للإسلام واطلع على كتب المستشرقين وخاصة كتاب صديقه هنري دي كاستر وهو ضابط في المكتب العربي بناحية أفلو في عهد ثورة بوعمامة 1881م، التي شارك فيها فوكو ضمن الجيش الفرنسي، ونشر هذا الضابط كتابه عن الاسلام سنة 1887م. أنظر: الشيخ أبو عمران: قضايا في الثقافة والتاريخ، ص 130 .

(3) أظهر عداوته للإسلام بعد إعتناقه الدين المسيحي وتنصيبه قسيسا وأصبح المسلمون في نظره كفارا يجب تنصيرهم. ينظر : Bazin :Op cit, P 128 .

(4) محمد الفاسي: **"التبشير وخطره على التماسك الإجتماعي للمسلمين"**، مجلة الأصالة، ع 16، س 3، مجلة تثقيفية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة (الجزائر)، شعبان-رمضان 1391هـ/ سبتمبر أكتوبر 1973م، ص 43.

1 محاربة اللغة العربية ومحاولة طمسها لأنها هي الوسيلة لفهم تعاليم الدين الإسلامي، مع إحلال الفرنسية محلها .

2 محاربة بناء المساجد والزوايا.

3 اللجوء إلى شراء العبيد وإعطائهم حرياتهم لكي يكونوا أعوانا له، على اعتقاد منه أن العبد يظل مدينا لأي شخص يعتقه.

4 تقديم الهدايا للمواطنين لاستمالتهم وكسب تعاطفهم .

5 مساعدة الفقراء والمعوزين بالعلاج المجاني والصدقات مقابل استدراجهم للبوح العفوي بالمعلومات.

6 جلب اهتمام كبار العسكريين الفرنسيين وإغرائهم بخيرات الصحراء الغنية بمياهها وزراعتها وحيواناتها ومعادنها حتى يميلوا إليها ويساعدوه على نشر مبادئه[1].

7 الإتصال فورًا برؤساء القبائل والعشائر والعمل على توطيد أواصر الصداقة معهم حتى يضمن خروج الزعيم من الإسلام وبالتالي يتبعه في ذلك سكان قبيلته[2].

2- إستقراره واندماجه في المجتمع الصحراوي :

لقد كان شارل دي فوكو يُخطط ويُفكر في المكان الذي يستقر فيه، في البداية كان يريد أن يخوض حياة هادئة بفلسطين، لكن غير رأيه قبل تعينه أبًا في 09 جوان 1901م، واقترح مشروعا للقس هوفلان للإقامة في إفريقيا[3].

أ-استقراره في بني عباس1901-1903:

(1) بوشارب: الهقار ...، مرجع سابق، ص 120 .

(2) الشيخ أبو عمران: **"شارل دي فوكو في تامنرست 1905-1916"**، مجلة الثقافة، ع 76، س 13، مجلة تصدرها وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، رمضان-شوال 1403هـ/جويلية، أوت 1983م، ص 81 .

(3) مرموري: المرجع السابق، ص 273 .

غادر دي فوكو "N.D.Neiges" في 06 سبتمبر 1901م قاصداً إفريقيا ليمر على مرسيليا ثم الجزائر، أراد الإقتراب من المغرب بحكم معرفته للمنطقة[1] ،وفي هذا الصدد يقول في مذكراته: "لقد قمت بجميع الإجراءات، لكي أرحل إلى الجنوب الوهراني على الحدود المغربية في إحدى المستعمرات الفرنسية التي لا يوجد بها أي راهب"، ثم يبين لنا الهدف من وراء ذلك بقوله : "أولا الحيلولة دون موت جنودنا بلاد قداس في أماكن تقتل فيها الحمى أعداد هائلة ... ثانيا عمل أكثر ما يمكن من "الخير" حاليا للسكان المسلمين والمهملين وهذا بنشر دعوة المسيح"[2].

نزل دي فوكو بالجزائر العاصمة عند الآباء البيض، وجد في استقباله كل من هنري (P.Henri) وقورين (Mgr.Guerin)، قرر الإستقرار في بني عباس يصفها بقوله: "في مستعمرة فرنسية تسمى بني عباس، إنها واحة جد مهمة في الصحراء، توجد على الحدود المغربية"[3].

أرسل شارل دي فوكو رسالة إلى قريبته بوندي (Bondy) يشرح فيها مهمته مبينا الأهداف المتوخاه من هذا العمل قائلا: "إن العمل الذي أوكل لا بنك رائع ومحبوب: حمل المسيح بعيدا في الصحراء، نحو الجنوب ونحو المغرب، والذي لم يصله بتاتا من ذي قبل ربما، وعلى كل حال لم يكن على الأقل منذ وقت أوغستين. إن إنقاذ "الكفار" بهذا الحضور سيأتي بالنجدة الدينية ... إنها مهمة كبيرة وجميلة ولكنها تتطلب الكثير من الشجاعة ..." [4].

اتجه إلى كنيسة سطاوالي في 20 سبتمبر 1901م في انتظار رخصة الحاكم العام للجزائر لإقامته ببني عباس[5]، في 14 أكتوبر يغادر الجزائر نحو وهران ليصل إلى واحة عين الصفراء في 15 أكتوبر عن

---

(1) charles de foucauld: **carnets de beni abbes 1901–1905**, nouvelle cité, paris (France), 1993, p34.

(2) شاتلار: المرجع السابق، ص 150 .

(3) Charles De Foucauld, Op cit, P 35 .

(4) Grorrée : Op cit, P 135 .

(5) تسلم زميله السابق بالجيش ومسؤول شؤون الأهالي في الحكومة الجزائرية الرائد لاكروا lagoix الأوراق الضرورية لإقامة في الجنوب الوهراني. ينظر: . G orrée: opcit, p 137

طريق القطار، ثم أكمل طريقه ممتطيًا مع مجموعة من الجنود الفرنسيين الخيول، وصلو إلى بني عباس في 28 أكتوبر سنة 1901م[1] ليرسل أولى انطباعاته إلى الكونت كاستريز(casdtrie) قائلا: "بني عباس قصر يتكون من 130 بيتا، يسكنه الشليح والحراطين، القصر يوجد وسط غابة من 6000 نخلة، تقيها فقارة رائعة"[2].

قرر دي فوكو الإستقرار في بني عباس لعدم وجود رجل دين مسيحي، يقوم بالطقوس الدينية وسط الجنود وبالقرب من الآباء البيض "بعثات الكاردينال لا فيجري" حيث كانت تلك المنطقة تحت وصايتهم، وقد كان الأب الروحي لها بازان (Mgn.Bazin)[3]، بدأ مهمته الجديدة على الجدول الزمني الذي حدده في هذه الأسطر: "قسمت حياتي بين الصلاة والعبادة... مطالعة اللاهوتيات، الأعمال اليدوية، ثم أكبر قسم في استقبال الزوار بعض الضباط والكثير من الجنود، العرب والكثير من الفقراء الذين أمنحهم الشعير والتمر في حدود الإمكان"[4].

أقام دي فوكو في بني عباس ديرا للعبادة بمساعدة المجندين الجزائريين وقد خصص فيه حجرات صغيرة لاستقبال الضيوف وعلاج المرضى، كما جعل فناءه حديقة صغيرة زرع فيها أنواعا من الخضر والفواكه وشجيرات النخيل الصغيرة[5]، قدم دي فوكو وصفًا لها في إحدى رسائله إلى صديق بقوله: "إن السقف أفقي، بروافد النخيل الكبيرة الغليظة، مغطاة بجريد النخيل، إنه بسيط ويوحي بالفقر، غير أنه أليف وجميل، ولكي تكون الروافد ثابتة، اسندت في منتصف بأربعة من جذور النخيل بشكل

(1) احميده عميراوي: **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة (الجزائر)، 142هـ/2007م، ص 152 .

(2) مرموري: المرجع السابق، ص 274 .

(3) وافق الآباء البيض على إقامته في بني عباس، وهو المشروع الذي كان يهدف إلى تطبيقه الكاردينال لافيجري، الذي صرح بأن الجزائر أصبحت لنا أو بتعبير أصح أصبحت ملكا للعالم المسيحي، وهذا التصريح ليس غريبا لأن لأفيجري عندما أنشأ مؤسسة الأباء والأخوات البيض كان يهدف إلى التنصير باسم أوروبا لا باسم فرنسا فقط. ينظر: عميراوي وآخرون: السياسة الفرنسية...، مرجع سابق، ص 120.

(4) Charles De Foucauld : Op cit, P 37 .

(5) عميراوي وآخرون: السياسة الفرنسية ...، المرجع السابق، ص 120 .

عمودي، في بساطتها تثبت البناء جيدا وتؤطر الهيكل، حيث يوضع الإنجيل في زاوية أين يعلق قنديل زيتي ينير ليالي ويضفي نورا مشعا حول الهيكل، وقد علقت في السقف فيه بشكل خيمة، بقماش نسيجي كبير أخضر مشمع، ليلقى الهيكل وسلمه الصغير من المطر"[1].

لقد كان لهذا المعبد الديني بزعامة دي فوكو أثر فاعل في تغيير الحياة الخاصة للجنود الفرنسيين، فقد كانت تجمعه علاقه صداقة مع القائد العسكري دي سيسبيال (du susbielle)، ومع الجنود الفرنسيين الذي أقبل الكثير منهم على هذا الدير، يتبركون ويصلون[2].

باشر دي فوكو مهامه التبشيرية في بني عباس من خلال تقديم الخدمات الطبية للسكان خاصة أن المنطقة كانت نائية، وتعليمهم ما كنوا يجهلونه، حيث لم تمر أربعة أشهر على إقامته حتى استطاع الإندماج وسط الأهالي ووقف على معظم النواحي المادية والمعنوية والمشاكل التي كان يعاني منها السكان[3]، وما هي إلا وسيلة للوصول إلى غاية أسمى ، وفي هذا الصدد يقول: "بذلك سنصل شيئا فشيئا وبالتدريج، الصدقة، العلاج، شراء، وتحرير العبيد ...كلها ستصلح القلوب وتفتح الطريق أمام التبشير المستمر، الذي يكون أكثر سرعة كلما كانت هذه الإهتمامات كثيرة وصادقة"[4].

لقد تمكن دي فوكو أثناء إقامته في بني عباس من شراء بعض العبيد وتحريرهم وتعميدهم مقابل دخولهم في المسيحية، وجعل بعضهم خدما له، وكان أول شخص عمده في بني عباس هو طفل إسمه

(1) Bazin : Op cit, P 96 .

(2) كان هذا المعبد الديني بمثابة حلقة وصل بين السلطة العسكرية الفرنسية والجزائريين بالصحراء. ينظر: احميده عميراوي: من الملتقيات.....، مرجع سابق ،ص 152 .

(3) عميراوي وآخرون:المرجع نفسه ، ص 212 .

(4) Charles De Foucauld: Op cit, P 37 .

"عبد المسيح" عمره ثلاث سنوات ونصف، وذلك في 12 جويلية سنة 1902م، كما اشترى 15 أكتوبر سنة 1902م عبدًا اسمه بول مرابو (Paul Marabout) فجعله خادما له[1]، وآخر في 21 جانفي سنة 1903م أطلق عليه اسم بيار (Pierre)[2].

في هذه الفترة عُين هنري لابرين (Henri La Perrien)[3] قائدا أعلى على منطقة واحات الصحراء الجزائرية، وقد ساعد ذلك على تحقيق حلم دي فوكو وهو التوغل في الجنوب[4]، فانطلقت رحلته إلى الجنوب سنة 1904م ودامت ثمانية أشهر برفقة خادمة بول وصديقه لابرين وبعض الجنود الفرنسيين الذين جابوا قبائل الصحراء المختلفة، وصل إلى مدينة عين صالح عند القبائل التوارق[5] ليبدأ عمله كمستكشف مثل ما فعل سابقا في المغرب حيث يسجل المعلومات عن الأهالي، ويرسم المخططات ويتعلم اللهجة المحلية لغة تخاطب التوارق "التماشيق"، وفي هذا الصدد يقول دي فوكو: "إن سكان المنطقة كسكان المغرب، يتحدثون لهجتهم المحلية البربرية أكثر من تحدثهم باللغة العربية، هذه اللجهة هي اللغة القديمة لشمال إفريقيا ... لقد تعلمتها سابقا ونسيتها، وإنني بصدد تعلمها لأتمكن من التحدث مع الجميع"[6]، بقي في مدينة عين صالح مدة 3 أشهر[7].

---

(1) اختلفت الآراء حول قضية الطفل بول (paul) فهناك من قال أنه اشتراه، وهناك من قال أنه اختطفه وهناك من الكتابات الفرنسية من تحاول طمس حقيقة الطفل بول من خلال عرضها على أنه اشتراه وهو في الخامسة عشرة من عمره ورافقه إلى مماته. ينظر: Grorrée: op cit, p 147 وينظر أيضا: Bazin : op cit, p 107 .لكن ما جاء في شهادة ابنه أحمد مرابط (المولود سنة 1940) هو أن "بول مرابو" ما إن بلغ سن الرشد حتى تمرد على متبنيه وانفصل عن فوكو، وغير اسمه إلى مبارك مرابط لينضم لإخوانه التوارق ويعيش معهم في تمنراست ويتزوج منهم مخلفا بنين وبنات يعتزون بدينهم الإسلامي الحنيف. ينظر: عبد السلام بوشارب، الهقار...، مرجع سابق، ص 113.

(2) Bazin : Op cit, P 115 .

(3) **لابرين** (**la perrine**) : حققت فرقته انتصارا كبيرا في معركة تيت 07 ماي 1902 ضد الهقار، وكان وراء صدور المرسوم المؤسس للسرايا الصحراوية في 01 اوت 1902م. ينظر: مرموري: المرجع سابق، ص 277 .

(4) هناك علاقة صداقة تربط بينهما لكنها لم تكن الوحيدة وراء هذا التقارب بل هناك أمر أخرى أهم من ذلك وتتمثل في خدمة كل منهما للظاهرة الاستعمارية. ينظر: اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى ...، مرجع سابق، ص 14 .

(5) **التوارق**: من القبائل البربرية التي استوطنت الجزائر منذ القدم، انشأوا أول حضارة عبر التاريخ القديم على ضفاف بحيرات الصحراء الكبرى . ينظر: . Emmanuel Grevin :Op cit, P 07

(6) Bazin : op cit, p 146 .

(7) عميراوي: من الملتقيات ...، مرجع سابق، ص 153 .

قام دي فوكو أثناء رجوعه من عين صالح بزيارة ثانية إلى غرداية، ففي شهر أكتوبر من عام 1904م قام بزيارة لمتليلي ومزاب ماكثا فيها لمدة شهرين، وحسب المقابلة التي أجريتها مع الأب لوك (louc) أنه قد حظي بمعاملة مثله مثل الآباء البيض، وكان يقوم بحياته العادية: العمل، الزهد، الصلوات الممتدة جدا في الليل أمام القربان المقدرس، وكان الأب المكلف بالمهمة التنصيرية كل يوم بجلب له حلوى عربية وتمور وماء[1].

عاد دي فوكو إلى الساورة ،حيث واصل دراسته للغة المحلية "التماشيق" وترجمة الأناجيل لتلك اللغة، ثم عاد الى بني عباس مرة ثانية ليزاول مهامه السابقة، وقد ساعده في بحوثه اللغوية وتعلُم التماشيق الدكتور دوتفيل (Dhauteville) الذي عاش في الهقار وتعلم هو بدوره التماشيق في غضون ستة اشهر[2]، وقد كتب دي فوكو لصديق له في 3 جويلية 1904م يصف له رحلته بين القبائل الصحراوية وما كان يفعله خلالها بقوله: "إننا نتنقل من نبع الى نبع، بين مناطق الرعي التي كثيرا ما يتردد عليها البدو، فنقيم بينهم لعدة أيام ... أيامي مشغولة بدراسة لغة هذه المنطقة اللغة البربرية الأصلية وبترجمات الأناجيل إلى هذه اللغة"[3]. بعد مراسلات عديدة من صديقه هنري لابرين لابرين قرر دي فوكو السفر إلى قلب الصحراء تمنراست[4].

ب- أسباب ودوافع استقراره في الهقار:

إن إقامة شارل دي فوكو في بني عباس فتحت له آفاقًا جديدة ليمضي إلى أقصى جنوب الصحراء[5]، ففكرة التوغل هذه جاءته بعد أن فقد أمل الاستقرار بالمغرب وخاصة بعد هزيمة أمينوكال الأهقار وانفتاح بلدهم أمام الفرنسيين، فاستغل فوكو هذا الحدث وكتب إلى المسؤول

(1) مقابلة مع الأب لوك (LOUC): المركز الثقافي للوثائق الصحراوية، غرداية، يوم 07 مارس 2016م على الساعة 45: 9 صباحا.

(2) عميراوي وآخرون: السياسة الفرنسية ...، مرجع سابق، ص 124 .

(3) شاتلار: المرجع السابق، ص 161 .

(4) أحمد مريوش: التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري، ص 134 .

(5) سعد الله: المرجع السابق، ص 135 .

البابوي العام للصحراء قرين (Mgn Guerin) في 24 جوان 1903م يطلب منه رخصة لزيارة التوارق بعد أن درس الموضع وإيجابياته مع زميله القديم لابرين، وقد جاءته الرخصة في 29 أوت بعد أن تحصل على موافقة وتأييد زعيمه الروحي القس "هوفلان" للإقامة في منطقة "إيموهاغ" التوارق[1].

إختار شارل دي فوكو لمنطقة الهقار كان له أسباب وعوامل عديدة أهمها :

-التشجيع المستمر من لابرين بالمضي إلى منطقة الهقار، وهو أول من فتح هذا المشروع لتفاهمه الجيد مع فوكو[2]، حيث أن لابرين كان على علم بمهمته ومقدوراته، كتب إلى أحد ضباطه يطمئنه قائلا: "تستطيع أن تعتمد عليه كأداة فعالة للسلام والقوة المعنوية، سيفعل هناك بالقليل، مثل ما فعله الكاردينال الكبير بتونس للنفوذ الفرنسي"[3].

-تأثر شارل دي فوكو بما كتبه لابرين عن هذا الشعب "إيموهاغ" الذي يتميز بأخلاق نبيلة موضحا له كل احتياجاته وحاثًا إياه على المضي إلى تلك المنطقة مع القافلة التي يرأسها، مستشهدا في رسالته بموقف إنساني كبير أقدمت عليه إحدى النساء التارقيات[4] في مجزرة إرسالية "فلاترز" قائلا: "لدى وقوع مجزرة إرسالية "فلاترز" أبدت امرأة طوارقية من قبيلة نبيلة شريفة موقفا رائعا جدا، إذ عارضت قتل الجرحى، وأخذتهم إلى بيتها واعتنت بهم ورفضت أن يدخل إلى بيتها "أتيزي" الذي عاد جريحا من حرب أمغيد ضد "ديانوس"، وكان يريد أن يقتل بنفسه أولئك الجرحى، وبعد شفائهم رحّلتهم إلى طرابلس، وهي الآن في سنها الأربعين أو الثلاثة والأربعين، ولها الكثير من التأثير والشهرة من جراء محبتها"[5].

---

(1) مرموري: المرجع السابق، ص 277 .

(2) مرموري: المرجع نفسه، ص 278 .

(3) Grorrée : Op cit, P 147 .

(4) حسب ما ورده موريس (mauric) كان اسمها تاريقات "tarichat" وتنحدر من عائلة نبيلة، وهي طويلة القامة، عمرها ما بين 40-43 سنة. ينظر: . Maurice : op cit, p 27

(5) شاتلار: المرجع السابق، ص 163 .

-كان فوكو يرى في غياب الفكر المسيحي سببًا وجيهًا للمضي إلى الهقار، بالإضافة إلى أسباب أخرى منها أن الهقار منطقة جبلية تعيش فيها أهم قبائل التوارق وهي قبيلة "داغ غالي"، كما أن تمنراست بعيدة عن كل القرى الهامة، لم يتجاوز عدد سكانها في ذلك الوقت 20 أسرة أي 100 نسمة تقريبا[1].

جـ- إستقرار شارل دي فوكو في الهقار:

بعد أن اقتنع شارل دي فوكو بمشروع لابرين، غادر بني عباس في 13 جانفي 1904 م مع فرقة عسكرية لملاقاة الرائد لابرين بأدرار، الذي أراد مرافقته في دوريته المهمة نحو الجنوب، وهذا إمتياز لا يمكن أن يمنح لراهب آخر غير فوكو حسب تعبيره: "يمتلك لابرين القدرة على تسهيل دخولي واستقراري، لقد سمح لي بمرافقته في الدورية... أعتقد أنه لا يمكن أن تُمنح مثل هذه التسهيلات لكاهن آخر غيري"[2]، غادرت دورية أدرار في 08 فيفري 1904م متجهة نحو الجنوب لتمر بعين صالح، أقبلي، تيت، تيميمون التي وصلتها في 16 أفريل، وفي هذه النقطة الأخيرة اصطدمت بحامية عسكرية فرنسية من جيش aof بقيادة النقيب اتيونوت (etionnot)[3] تحمل أمر منع مهمة لابرين من الدخول إلى أدرار والتوغل نحو الجنوب .

عاد لابرين إلى الهقار مُتجهًا نحو الشمال ليزور "تين زواتن"، أبلسة، تيت، ان امقل، وفي طريق العودة يوم 14 جوان 1904م طلب شارل دي فوكو مرافقة الفرقة التابعة "للابرين" التي يقودها الملازم

(1) الشيخ أبو عمران: قضايا ...، مرجع سابق، ص 126 .

(2) مرموري: المرجع السابق، ص 278 .

(3) إتيونوت (Etionnot): مفتش البريد الذي كان مكلفا بانجاز مشروع بناء مركز بريدي تلغرافي في صحراء الجزائر وتحديدا تمنراست. ينظر : Bazin : op cit, p 148.

روسل rossel القادمة من تيد يلكت[1]، وتحصل على ذلك لمدة ثلاثة أشهر أخرى في الهقار[2].

عاد شال دي فوكو إلى الهقار لأداء مهمته، وفي هذا الصدد يقول: "بعد أن قام التوارق بخضوعهم بقي أن نتحصل على ثقتهم ونقضي على تحفظهم وأحكامهم المسبقة اتجاهنا، ثم ما آلفتهم واحترمتهم... ونبرهن لهم أننا نحبهم ونقيم أخوة بيننا وبينهم... لقد طلبت من لابرين صديقي القديم وزميلي (كنا ملازمين في نفس الفترة) أن أقوم بهذا العمل الأخوي، وسمح لي بذلك"[3]، ومن ثم واصل دي فوكو مهمته التي بدأها مع لابرين والملازم روسل في الهقار، وزار مناطق أخرى جديدة: تين تونين، تاظروك، ادلس...الخ، ليتجه نحو الشمال الى عين صالح ثم بني عباس التي وصلها في 24 جانفي 1905م دون أن يتمكن من الإستقرار في الهقار [4].

يمكن إرجاع أسباب فشل شارل دي فوكو في البداية بالهقار إلى كونه رجل دين فرنسي مسيحي وإقامته في الهقار أمرًا غير مرغوب فيه على الإطلاق لدى سكان المنطقة، إضافة إلى السبب المتداول لدى كتاب سيرة فوكو وهو عدم التقاء دورية لابرين بأمينوكال الهقار "موسى أق أمستان"[5]، وهذا ما جعل لابرين يمنع استقرار دي فوكو في الهقار، ورغم ذلك فإن مسألة استقراره

---

(1) **تيديكلت**: تقع منطقة "تيديكلت" في أقصى الجنوب الجزائري بن خطي عرض 25° - 30° شمالا وخط طول 1° غربا و6° شرقا، يحدها من الشمال هضبة "تادميت" ومن الجنوب منطقة "الهقار" ومن الناحية الشرقية واد "اغرغان" ومن الناحية الغربية تحدها منطقة "توات" وصحراء "تانزروفت"و"تيديكلت" :كلمة أمازيغية تعني كف اليد، وذلك تشبها للوضع الجغرافي لهذه المنطقة المنخفضة والمترامية الأطراف.أنظر: الحاج التومي سعيدان: **سكان تدكيلت القدماء والإتكال على نفس**،دار هومة، عين صالح (الجزائر)، 2005م، ص 10 .

(2) مرموري: المرجع السابق، ص 279 .

(3) Maurice: Op cit, P 32 .

(4) مرموري: المرجع السابق، ص 280 .

(5) **موسى أق أمستان:** زعيم التوارق آنذاك، كانت تربطه علاقات حميمية بدي فوكو حتى أنه زار فرنسا سنة 1908م، وقد استقبلته عائلة دي فوكو. ينظر: Bazin , op cit, p 148.

قد تمت مناقشتها في ماي 1904م، حيث تحدث لابرين مع "سوغي"[1] حول القضية لكن هذا الأخير نصحه بتأجيل هذا المشروع[2].

مهما تكن الظروف والأسباب فإن كيل أهقار بما فيهم أتباع موسى عارضوا استقرار دي فوكو في منطقتهم سنة 1904م، وهذا ما اعترف به في رسالة مؤرخة في 26 أكتوبر 1905 م قائلا: "حاولت عدة مرات أن أستقر بالهقار السنة الفرطة دون جدوى، نظرا للروح الحدرة للأهالي الذين يرون في شخصي جاسوسا للحكومة ..."[3].

غادر دي فوكو بني عباس في ماي 1905م رفقة خادمة بول وهو سائر نحو الهقار التقى بمن كان ينتظره في الرحلة، وهم كل من "إميل فليكس قوتيي"[4] والكاتب "بيارميلي"(millé)[5] والجغرافي "شيدو" (chndeau)[6]، وكان قائد الرحلة النقيب "دينو" (dinaux) الذي يعمل تحت أوامر قيادة "لابرين" فقدمه الى الأمينوكال موسى أق أمستان[7]، فكان دينو متخوفا من ردة الفعل التي ستحدث عند رؤية هذا الرجل ذو الزي الغريب في وسط فرقة العسكريين، لكن موسى وضعه تحت حمايته وقبل استقراره بالهقار[8].

---

(1) **سوغي**: أحد أعيان كيل أهقار وهو من أقارب موسى أق أمستان والمعين خليفة له، فوضه موسى لنيباته في المفاوضة مع لابرين بتاريخ 23 ماي 1904م، وكان يبلغ من العمر آنذاك 30 سنة. ينظر : مرموري: المرجع السابق، ص 283 .

(2) مرموري، المرجع نفسه، ص 284 .

(3) Charles De Foucauld: **Carnets De Tamanrasset 1905-1916**, Nouvelle Cite, Paris (France), 1986, P 25 .

(4) **اميل فليكس قوتيي**: له كتاب مع الجغرافي شيدو Mission Au Sahara, Sahara Algérian,1908 ينظر : اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى ...، مرجع سابق، ص 343 .

(5)**بيارميلي** :كاتب روائي من بين كتبه Images Exotiques Et Française . ينظر: . Grorrée : Op Cit, P 50

(6)**شيدو**: من ابحاثه: Gréolgie Du Sahara Central, 1912 . ينظر: اسماعيل العربي: المرجع نفسه، ص 345 .

(7) ينظر الملحق رقم (08): صورة الأمينوكال موسى آق أمستان.

(8) مرموري: المرجع السابق، ص 285 .

نجد كتابات مختلفة ومتنوعة حول هذا اللقاء الذي جمع بينهما في أغلب المراجع المتخصصة حول سيرة شارل دي فوكو، وقد عبّر شاتلار عن هذا اللقاء نقلا عن الأسطر المشهورة من سجل دي فوكو حول وصف موسى قائلا: "موسى رائع جدا، متفتح كثيرا، مسلم تقي للغاية يحب الخير في الإسلام لكنه طموح في نفس الوقت، ... تم الإتفاق مع موسى لاستقراري في الهقار"[1].

وافق موسى أق أمستان على اختيار فوكو للإقامة في تمنراست في 13 أوت 1905م، بقلب أكبر القبائل التارقية "داغ غالي"، وقد كتب في كراسه يقول:" اخترت تمنراست القرية المكونة من عشرين عائلة في قلب الجبل، وسط الهقار، داغ غالي قبيلتها الرئيسية بمعزل عن جميع المراكز المهمة... اخترت هذا الموضوع المتروك لأستقر فيه ..." [2].

أبدى شارل دي فوكو إعجابا كبيرًا بالمنطقة ومناخها وسكانها، كما شعر براحة كبيرة فيها، خاصة أنها كانت تحت حماية الأمينوكال "موسى أق أمستان" الذي أقنع الجميع باقتراح استقرار فوكو بينهم خاصة قبيلة "داغ غالي" التي سيقيم هذا الراهب قي قلب أرضيها، وبعد استقراره انشغل مباشرة في إيجاد قطعة الأرض ليبني عليها معبده كما فعل في بني عباس" [3].

إختار الموقع مع موسى في 17 أوت 1905م على الحافة اليسرى من وادي تمنراست (واد سرسوف) بعيدًا عن أرضي داغ غالي، في 19 اوت يضع فوكو أول حجر لبناء معبده: كوخ من 06 أمتار طولا و1.75عرضا من الحجر والطين، ثم قام ببناء كوخ من القصب استخدمه للاستقبال والطعام وغرفة لبول (Paul) [4] وموضع للضيافة، وبذلك حقق فوكو الإستقرار رسميًا في الهقار[5].

(1) شاتلار: المرجع السابق، ص 183 .

(2) Charles De Foucauld :Op cit, P 27 .

(3) مرموري: المرجع السابق، ص 286.

(4) ينظر الملحق رقم (06): شارل دي فوكو والطفل بول (مرابط) رفقة القائد لابرين .

(5) شاتلار: المرجع السابق، ص 229 .

عبر فوكو عن سعادته ومشاريعه المستقبلية من خلال رسالة بعثها إلى قريبته بونـــدي Bondy قائلا: "أنا مرتاح جدا لاستقراري في هذا البلد وفي هذه النقطة بالذات، فيها القليـــل مـــن ســـكان المستقرين، حوالي عشرون فقيرا يتوزعون على مساحة 3 كلم، ... لكني راهب أيضا خادم الكنيسة، مبشر لذلك فإني أريد أن أتمكن من العناصر الأساسية لفهم لغة هذا الشعب"[1].

لقد اختار فوكو في المقام الأول تعلم ودراسة اللغة التارقية التي هي الوسيلة الوحيدة للإتصـــال بالمجتمع وتحسين العلاقات معه، وبالتالي فهي الأداة التي يمكن أن يُمرر من خلالها أفكاره ورســـالته، يشير إلى ذلك في قوله: "إن عملي المتواضع مستمر ... عمل تمهيدي ... إنني لا أزرع بـــل أمهـــد الأرض،وآخرون يحصدون"[2]. فأول عمل قام به هو ترجمة الإنجيل إلى اللغة التارقية كان هذا قبـــل استقراره حسب ما جاء في الرسالة التي كتبها إلى قريته السابقة في 06 سبتمبر 1904م قائلا: " لقد أنهيت ترجمة الإنجيل إلى اللغة التارقية: التوارق لهم لغة وكتابة خاصة بهم، لكن ليس لديهم كتـــب لا يوجد أي كتاب في هذه اللغة، إنه لشرف عظيم لي أن يكون كتابهم الأول هو الانجيل المقدس"[3].

أراد شارل دي فوكو جلب ثقة السكان ،وذلك من خلال أعمال خيرية كـــثيرة ومبـــادرات رمزية كالصدقة والعلاج المجاني، كما بدأ يعلمهم أشياء كانوا يجهلونها بحكم تواجدهم في منطقة نائية كالخياطة والنسيج وبناء المنازل والزراعة وغيرها، وهذا لكسب حبهم وتسهيل تنصـــيرهم[4]، كمـــا حاول أن يجعل السكان يُعجبون بشخصيته ويَعتبرونه نموذجًا يُقتدي به، كتب في سجله قائلا : "إن دعوتي يجب أن تكون طيبة ...سيقال : إذا كان هذا الرجل رائعا، فإن دينه أروع، إذا طلب مني لماذا

(1) Grorrée : Op cit, P 196.

(2) شاتلار: المرجع السابق، ص 231.

(3) مرموري:المرجع السابق، ص 297 .

(4) عميراوي وآخرون: السياسة الفرنسية...، مرجع سابق، ص 124 .

أنا طيب فعلي أن أقول: لأنني خادم لطيب أحسن مني، لو عرفتم كم هو رائع سيدي المسيح ... أريد أن أكون رائعا جدا لكي يقال: إذا كان هذا الخادم فكيف سيكون السيد"[1].

رأى فوكو أنه من الضروري تحسين الوضع الإقتصادي والإجتماعي في تمنراست فاقترح أن يساعد سكان القرية ببستاني خبير ويحافر للآبار وطبيب، كما أراد تحويل السكان من وضعية الرُحل المتجولين إلى شبه مدنيين مستقرين فبنى القرى في مناطق مناسبة، واعتني الأهالي بالزراعة والصناعة اليدوية[2].

رأى أنه من الضروري توفير البريد والتلغراف تسهيلا للمواصلات، كما اهتم بالسكة الحديدية التي بدأ الخبراء في دراسة بنائها عبر الصحراء لأن هناك صلة بين تحقيق هذا المشروع وتدعيم التنصير وفي هذا الصدد يقول: "إن السكة الحديدية وسيلة عظيمة لنشر الحضارة، والحضارة عامل قوي للتنصير، ولا يمكن أن ينتصر الهمج"[3].

اهتم شارل دي فوكو بالجانب اللغوي فكان أول عمل قام به هو وضع قاموس "فرنسي-تارقي"، كما قام بجمع أشعار التوارق ونثرهم وترجمتها إلى اللغة الفرنسية، وقد واجهته صعوبة في ترجمتها عكس ما كان يعتقد أنها في غاية السهولة[4] فاضطر لطلب وساطة اللغوي "موتلنسكي"[5] واستمر في عمله برفقته من 02 إلى 09 اوت 1906م.

---

(1) Foucauld :Tamenrasset …, Op Cit, P 30 .

(2) شاتلار: المرجع السابق، ص 232 .

(3) أبو عمران: قضايا...، مرجع سابق، ص 128 .

(4) Marguerite Castillon: **Charles De Foucauld**, Bernard Grasset, Paris (France), Décembre 1982, P 392.

(5) **موتلنسكي**: ولد في 15 فيفري 1854م بمعسكر، تعرف عليه شارل دي فوكو سنة 1881م بسطيف أين كان يشغل مهنة مترجم عسكري وكان متخصصا في اللغتين العربية والبربرية، توفي في 02 مارس 1907م، وقد نشر فوكو معجمه باسم صديقه المتوفي. ينظر: Marguerite gastillon : Ibid, p 393.

إنطلق باتجاه عين صالح في 12 سبتمبر 1906م التي وصلاها في 30 سبتمبر وفيها انفصلا فعاد "موتلنسكي" إلى قسنطينة، في حين إتجه شارل إلى بني عباس وواصل السفر الى الجزائر، وفي مطلع فيفري 1907م عاد إلى عين صالح ليضع اللمسات الأخيرة لمعجمه الأول الفرنسي- التارقي"[1].

ترك فوكو عين صالح مُتجهاً نحو الهقار في 18 مارس 1907م، ثم إلى أقصى الجنوب نحو حدود مالي، وخلال إقامته في المخيمات التارقية جمع وكتب أكثر من ستة آلاف بيت من الشعر التارقي لكي يترجمها ويضعها في سياقها التاريخي مُستعينا بالخبير اللغوي "باحمو"[2] الذي ساعده في مراجعة عدد من النصوص (أشعار، قصائد، حكم وامثال)، وذلك وفق برنامج أشار إليه في دفتره بعنوان 60 يوم عمل مع باحمو[3].

عاد شارل دي فوكو إلى تمنراست في 06 جويلية 1907م، وقد صادفت عودته المجاعة التي حلت بتمنراست، فاستغل الوضع لكسب ود السكان فكان يُوزع بنفسه ما كان عنده من قمح وشعير وتمر على النساء والأطفال، وبالفعل أصبح دي فوكو يحظى بحب الناس واحترامهم له، وقد برز ذلك عندما سقط طريح الفراش فاعتنوا به لعدة اسابيع إلى أن تماثل للشفاء[4].

غادر إلى فرنسا في مطلع سنة 1909م، وأثناء تواجده بباريس إلتقى بالقس هوفلان وأطلعه على مشاريعه التأسيسية في الجبل وفي الجنوب، وفي 11 جوان من نفس السنة يعود إلى تمنراست

(1) Marguerite castillon : Op cit, p 393.

(2) **باحمو**: كان مطرودا من غات رغم حبه الكبير لها. ينظر: Maurice :op cit, p 61

(3) foucauld: Tamanrasset …, Op cit, p 45 .

(4) اختلفت الأراء حول مرضه فمنهم من ذكر أن هناك أسباب نفسية ذلك أن دي فوكو لم يرى سوى اثنين من الأوروبين السيد "دوبوا" أخصائي بعلم الأعراف و"البوتنان هالفن" وهي الزيارات الوحيدة التي تلقاها طوال 11 شهرا وهو ما جعله يشعر بالعزلة. ينظر: شاتلار: المرجع السابق، ص 250. وهناك من ذكر أنه أصيب بداء الحفر نتيجة سوء التغذية والإفراط في العمل وقلة النوم. ينظر: Bazin : Op cit, p 184.

تميزت هذه الفترة بتنظيم محكم للبريد، ومرور العسكريين أكثر من قبل، وزيارات الرحل تكاد تكون يومية، وهو ما كان يسعى إليه فوكو بُغية التعرف على الكثير من الناس[1].

شهد النصف الأول من سبتمبر 1909م زيارة فوكو للأسكرام (l'asckrem) [2] ،وقد أطلع قريبته بوندي على مشروعه قائلا: "إنني أهيئ لحركة فعالة في المجال الروحي، ببنائي على بعد 60 كلم من هنا أي تمنراست، في قلب أعلى نقطة من جبال الأهقار وبين المناطق التي تقام أو تنصب فيها الخيم الكثيرة، ديرا تتسع لشخصين سأتوسط بذلك السكان وإنني أنوي في العام القادم أن أقسم وقتي بينه وبين دير تمنراست"[3].

اتسمت سنة 1910م بعودة لابرين إلى فرنسا، وبموت ثلاث أصدقاء لفوكو وهم: المونسنيور "غيران" في غرداية ولا كروا في الجزائر، والأب "هوفلان" في باريس[4]، كما تميزت هذه المرحلة بزيارة الطبيب "روبار آرسن" (hérisson) الذي كانت تربطه علاقة طيبة بدي فوكو، وقد مكث الطبيب في الأهقار لعدة شهور حيث كان يزاول مهنتين: الأولى مهنته كطبيب وهي الإعتناء بالجانب الصحي للجنود وأحيانا التوارق، والثانية وهي محاولة كسب التوارق وتدجينهم تطبيقًا لمخطط لابرين[5].

(1) شاتلار: المرجع السابق، ص 251 .

(2) **الأسكرام:** جبل صخري يقع على بُعد حوالي 80 كلم شمال شرقي تمنراست، يبلغ ارتفاعه 2700م، وقد اختاره شارل دي فوكو كموقع لملجئه أو خلوته، التي لا تزال قائمة الى اليوم. ينظر : بوشارب: الهقار ...، مرجع سابق، ص 125 .

(3) شاتلار: المرجع السابق، ص 352 .

(4) شاتلار: المرجع نفسه، ص 355 .

(5) عميراوي: من الملتقيات ...، مرجع سابق، ص 154 .

لقد سعى دي فوكو إلى التوغل داخل العائلات، وتغيير أفكارها والتركيز على النساء والأطفال الصغار وتشيع التمدرس الذي هو الوسيلة الفعالة لتمرير الأفكار والإيديولوجيات التي يراها ميداناً للتنصير والسياسات الإستعمارية المختلفة [1].

3- سياسته التنصيرية والإستعمارية في الصحراء :

لقد عمل دي فوكو جادًا في سنواته الأولى ليحول كيل أهقار إلى مسيحيين، لأنه كان يعتقد أن بإمكانه تغيير قناعة الناس بسهولة خاصة بعد معرفته للسكان واندماجه معهم، وقد لخص فوكو عمله التنصيري منطلقاً من قاعدتين:

أولا: دراسة لغة وعادات وثقافة الأهقارين، حيث جمع مادة غزيرة من اللغة والثقافة التارقية معتمدًا على كبار السن والعجائز فجمع المفردات والأمثال والأشعار، ثم حضّر قاموسه الضخم "فرنسي تارقي " زاخرًا بالمعلومات التاريخية والإثنوغرافية والجغرافية للبلد، ثم أرفقه بمجموعة من النصوص وثلاثة آلاف قصيدة تارقية مترجمة إلى فرنسية[2].

ثانيا: التنصير من القاعدة إلى القمة حيث كان يتجول قُرب المخيمات السكنية محاولاً الدخول في علاقات مع الأطفال فيقدم لهم السكر والحلوى، لكنه لم يسجل نجاحاً في هذا المسعى أول الأمر، وكان يستنتج ذلك من خلال ردة فعل الأطفال، كما عمل على اكتساب المرأة هناك تحت قاعدة "من اكتسب قلوب الإناث أصبح سيدا"[3].

أراد فوكو تغيير طريقته من التحويل المباشر إلى سياسة الإدماج ثم التنصير عبر الأجيال، والتبشير في اعتقاده هو الأساس، والتعمير وسيلة لتحقيقه، لذا فضل فوكو طريقة تدريجية بطيئة وغير

(1) حسن مرموري:"**مصادر الإستراتيجية الإستعمارية اتجاه توارق آزجر وأهقار الأب فوكو منصرا**"، مجلة رفوق، العدد الأول، مجلة يصدرها مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أدرار(الجزائر)، جوان 2013، ص 138.

(2) عز الدين العراقي: "**شارل دي فوكو وهب حياته لتنصير المغرب العربي خدمة للاستعمار**"، مجلة البينة، ع 8، س 1، مجلة تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الإسلامية، الرباط (المغرب)، رجب 1382هـ/ديسمبر 1962م، ص 66 .

(3) اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى...، مرجع سابق، ص 345 .

مباشرة ،يقول في هذا الصدد: "فلنعمل على أن تكون حياتنا قدوة لهم ...وسوف نُنَصرهم لا محالة"،ومن حين لآخر يتخلى عن حذره المعتاد فيحاول التنصير صراحة فيقول : إني أقضي أحيانا أياما كاملة مع التوارق أشرح لهم كتبا فيها بعض الصور الدينية أو أتلو عليهم نصوصا من الإنجيل المقدس"[1].

تفطن فوكو في مرحلته الأولى من التنصير على أنه لم يتقدم كثيرا، و لم يتقبل السكان دعوته إلى المسيحية، خاصة وأنه شاهد تمسكهم بالإسلام، وسعى جادا لترسيخ صورة الراهب المسالم، المصدق المحسن في أذهانهم في حين كانت لهم نظرة أخرى حوله إذ أطلقوا عليه إسم "آكلي-ن-عيسى" أي عبد عيسى، فعندما رأوه لأول مرة لم يكونوا يميّزون بين الجنود والرهبان، فكانوا يُطلقون على الأوروبيين بصفة عامة إسم "اكوفار" وتعني الكفار، في حين كانت نظرة الأوروبيين لهم بأنهم بدائيون متخلفون "أندجان" (همج) [2].

تعلق فوكو بصديقه الأمينوكال موسى أق أمستان الذي اعتبره في أول الأمر رجلاً ذكياً ومتفتحاً ومسلماً تقياً رغم بعض العيوب خاصة بعد محاولته بناء زاوية ومسجد بتمنراست لنشر الدعوة الإسلامية بها، وهذا الأمر لم يرق لفوكو ورأى فيه خطورة كبيرة حيث أن موسى بقي متمسكا برأيه و لم يُصغ إلى نصائحه، لكنه حافظ على صداقته معه [3].

سعى فوكو إلى الإيقاع بين السلطات الفرنسية وموسى، وعمل على سحب لقب الأمينوكال منه وأن يُدار الهقار بمعرفة السلطة الفرنسية، لكن هذه الأخيرة كانت تدرك خطورة موسى في المنطقة فلم تحاول توريط نفسها معه[4]، لم ييأس فوكو فقام مباشرة بعد ذلك بالإتصال بصديقه الثاني الشاب

(1) يشير هنا إلى بعض الفقراء الذين كانوا يترددون عليه ليتصدق عليهم، وكان يسعى من وراء ذلك إلى زعزعة عقيدتهم الايمانية. ينظر: أبو عمران: قضايا ...، مرجع سابق، ص 129 .

(2) مرموري: المرجع سابق، ص 301 .

(3) الشيخ أبوعمران: **شارل دي فوكو في تمنراست**، المجلة التاريخية المغربية، للعهد الحديث والمعاصر، ع17 18، س 7، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، جانفي 1980م، ص 141 .

(4) أبو عمران: قضايا ...، مرجع سابق، ص 133 .

أوكسيم[1]، حاول أن يُعلمه الحضارة والمدنية فأرسله إلى فرنسا عند أسرته ليبين له الفرق الشاسع بين العيش في فرنسا والعيش في الهقار، وهذا جزء من سياسته حتى ينقل للأهالي صورة عن إقامته، والتي ستكون ربما بمثابة الجائزة لمن يعتنق المسيحية، ولكن خابت آمال فوكو مرة أخرى في بطل أحلامه أوكسيم الذي كان ينتظر منه أن يكون صاحب اليد الطولى في نشر المسيحية بعد أن فشل مع موسى[2].

بقي في أذهان فوكو منذ سنة 1908م ضرورة التفكير بجدية في إنشاء منظمة أو مؤسسة تهتم فعلياً بتطوير الروح التنصيرية في المستعمرات الفرنسية واستلهم ذلك من فكرتين :

1 -علينا الآن القيام بمجهود ضخم من أجل التنصير الفعلي وعدم ترك الرعايا الفرنسيين جانبا.

2 -علينا بجمعية ليست للتسولات والصلوات فقط بل اهتمامها الرئيسي هو الروح التنصيرية[3].

لم ينحصر عمله في مجال اللغوي فقط إذ نصب اهتمامه على المسؤوليات السياسية والعسكرية بداية من حرب العالمية الأولى سنة 1914م، لقد كان ذلك واضحاً في رسائله وكتاباته الموافقة لتلك الفترة وكذلك في تصرفاته اليومية.

عَلِم شارل دي فوكو باندلاع الحرب فاضطرب وتساءل عن ما يجب عليه[4]، خاصة أنه كان قلقا على زملائه المشتركين في الحرب فكتب إلى صديقه لابرين: "ألست أكثر نفعا على الجبهة ككاهن أو مسعف للمرضى؟ إذ لم تكتب لي وتطلب مني المجيء، سأبقى هنا حتى يحل السلام، أما إذا

(1) ينظر الملحق رقم (07): شارل دي فوكو وأوكسيم رفقة القس هوفلان وعائلته في فرنسا.

(2) بوشارب: الهقار ...، مرجع سابق، ص 122 .

(3) عز الدين العراقي:المرجع السابق ، ص 67 .

(4)مرموري: المرجع السابق، ص 306 .

طلبت مني المجيء فإنني سألبيكم فورًا وبسرعة كبيرة ألتحق بكم"[1]، فكان رد لابـــرين عليـــه بعـــد شهرين يطلب منه البقاء في الهقار، وبالفعل انصاع له وبقي في الهقار[2].

وصلت كتيبة من برج موتلنسكي في 07 سبتمبر 1914م إلى تمنراست في طريقهـــا إلى أدرار فأوكلت للأب فوكو 1500 ذخيره لطلقات و1874 بندقية ليسلمها لموسى أق أمستان في الضرورة القصوى، وهي أول مساهمة فعلية مباشرة يقوم بها الراهب[3]، هكذا بدأ يتحول عمله شيئًا فشيئًا من الديني إلى العسكري ،فقد أصبح يرى لنفسه مهمة جديدة وهذا ما توضحه الرسالة التي كتبـــها إلى إحدى أصدقائه قائلا: "لن أغادر تمنراست مكاني هنا، المساعدة في تهدئة النفوس، التوارق يجهلون كل شيء عن ألمانيا حتى إسمها، ويجهلون كل شؤوننا الأوروبية، سيبقون حتما في هدوئهم الإعتيادي، فهم منشغلون فقط بحاجتهم المادية دون أن يشكوا في الزوبعة التي تعصف عندنا، إلا إذا كانت هناك تحريضات من الجزائر، من السودان أو من طرابلس الغرب ..." [4].

لقد حاول شارل دي فوكو المحافظة على هدوئه لكي لا يشعر سكان المنطقة بالتوتر والانفعال غير الإعتيادي[5]، عبر عن ذلك قائلا : "لا يجب أن يشعر الاندجان بشيء يُظهر الإنفعال، أو حالـــة مختلفة عن الإعتيادية[6]، فالتزم بوتيرة عمله طوال 10 سا و54 د في النهار فالكتابة النهائية لمعجمـــه التارقي الفرنسي تتقدم بانتظام[7].

لم يمر وقت طويل حتى عمت الإضطرابات طرابلس الغرب، وهو الأمر الذي تنبأ به فوكو من قبل، ومن هنا تظهر قدرته في توفير المعلومات في المنطقة وكـــذا خبرتـــه في التكتيـــك العســـكري

(1) شاتلار: المرجع السابق، ص 306 .

(2) Grorrée : Op cit, P 287 .

(3) مرموري: المرجع السابق، ص 307 .

(4) مرموري: مصادر الإستراتيجية...،مرجع نفسه ، ص 140 .

(5) شاتلار: المرجع السابق ، ص 357 .

(6) Grorrée : Op cit, P 288 .

(7) شاتلار: المرجع السابق، ص 358 .

وإستراتيجيته، خاصة أنه قام بتحليل استراتيجي جيّد للوضعية في طرابلس الغرب ،وعن الأخطاء التي ارتكبها الإيطاليون في زحفهم ثم انسحابهم الجزئي ونتائجه على الحدود من خلال هذا النص: "... لا يوجد شيء نخشاه من وصول التمرد إلى مستعمرينا، لكن يمكن أن نخشى اجتياز العصابات المتمـــردة الطرابلسية للحدود، لقد دعمنا مؤخرا مراكزنا الحدودية، أتمنى أن يقاوموا في حالة ما إذا هجموا إذا كانت قيادتهم جيدة فليس هناك ما يخشونه"[1].

والواقع أن فوكو أظهر جزءاً من سياسة في حملة إعلامية تهدف إلى تقييم وتشـــوييه الحقـــائق وتقديمها في صورة مُبسطة كما يظهر في هذا النص: "أهقار في هدوء تام: لقد قدمت الحرب على أنها شيء غير مهم: شعبان كبيران أراد أكل شعبين صغيرين، أربعة شعوب في المواجهة..."، وهذا جراء الأخبار التي كانت تصل الى الهقار من حين لآخر، وإزاء الأسئلة التي تطـــرح عليـــه حـــول تلـــك الحروب[2].

لم يكتف فوكو بتقديم المعلومات والتحاليل فقط بل انتقل إلى العمل لتنفيذ ما كان يراه مناسبا من حلول، فقد كان متخوفًا من تحركات موسى وكل من له علاقة به فرنسيون كانو أو توارق، لم يتأخر في ايصال معلومات عنه الى النقيب ومن هم ما تلقاه منه: "في حدود نهاية مارس 1915م،كان موسى يقيم بـــ أرلي Arli ويحيط به كيل أهقار بأدرار: كيل غلا، ابطنـــاتن، أرجنـــاتن بخـــيمهم وقطعانهم، وفي حدود 28 مارس 1915م وصلت دورية يقودها قيرود Girod بـــ90 بندقيـــة إلى مخيمات موسى بعد مهمة طويلة في تانوت 400 كلم شمال غرب Aril"[3]، كما تحدث له أيضا عن عدم تحكم الفرنسيين في أمن الطرقات، وإلى جانب ذلك قدم له معلومات عن غزوات أخرى عـــبر كامل الصحراء ومنها :

(1) مرموري: التوارق...، مرجع سابق، ص 308 .

(2) مرموري: مصادر الإستراتيجية...، مرجع سابق، ص 140 .

(3) Grorrée : Op cit, P 293 .

– هجومات بن الصقر في الحدود الطرابلسية التونسية بصحبة ضابط ألماني حسب ما جاء به وهم الذين هجموا على موقع "ان سويغ" على كتيبة فرنسية تتكون من حوالي 400 جندي بقيادة النقيب برنود (Bernond) مع تنفيذها لعدة كمائن .

– هجوم حوالي 90 مغربيا من ساحل الرقيبات على مخيمات موسى في "نين غيدن" بعد أن مرو على تمساوتين زواتن .

– حصار وتحرير برج شارلي بجانت في 24 مارس 1916م[1].

كانت لفوكو إحاطة كبيرة بالأحداث في مختلف الجبهات حيث بقي يخبر عنها النقيب بصفة منتظمة خاصة ما تعلق بالسنوسيين، وأمام تفاقم الأحداث واتساع رقعتها اقتنع أنه لا يمكن تعتيمها وتشويهها خاصة وأنها تحمل شعار الجهاد الذي رفعه السنوسيون[2].

لقد سعى فوكو إلى تنفيذ أفكاره التي يراها حلولاً مناسبة وإعطاء نصائح تكتيكية للنقيب ومن أهمها ما يلي: "... إذا اتبعت نصيحتي، فلابد أن ننسحب مباشرة في حالة الهجوم. نصحت بالانسحاب مع كل الذخيرة والمئونة إلى مكان حصين، توجد به مياه الجبال، أين يمكن أن نقاوم بلا نهاية، في مكان لا يمكن أن يضره المدفع، وإذا لم تتبع نصيحتي وهجم علينا ...فعلم للرب ما سيحدث لنا...إنني أراسل يوميا برج موتلنسكي وقائده الملازم Constant سآتي اليه عندما أرى ضرورة الى ذلك، وإذا هوجم فسألتحق به"[3].

(1) مرموري: التوارق...، مرجع سابق، ص 311 .

(2) انزعجت الحركة السنوسية من التوسع الإستعماري الإيطالي والفرنسي في الصحراء الكبرى، وقد اتسمت الحركة السنوسية بنفس طويلة في الدفاع عن الأمة الاسلامية. ينظر: محمد الأمين بلغيث: **تاريخ الجزائر المعاصر (دراسات ووثائق)**، دار بن كثير، بيروت (لبنان)، 2001م، ص 285 .

(3) Grorrée : Op cit, P 303 .

يبدو من خلال هذه النصيحة استعداد فوكو الكبير للقتال، فقد قام بزيارة برج موتلنسكي في 12 افريل 1916م، كما قام بمعاينة الأماكن المنيعة التي كان يتحدث عنها لكي تلجأ إليها حامية البرج في حالة الهجوم[1].

عاد فوكو إلى تمنراست في 14 افريل فقرر أن يبني برجا حصينا نقل إليه أمتعته ومؤونة الجنود وذخيرتهم، والكثير من العتاد الذي يعمل به، نظرًا لبعد الحامية العسكرية "برج موتلنسكي" ففي اعتقاده أن هذا الحصن هو الضمان الوحيد للنجاة[2].

بتطور الأحداث بقيَّ فوكو حذرًا من تحركات السنوسيين خاصة في الحدود الشرقية، وهذا ما يبدو من خلال مراسلته المؤرخة في 15 سبتمبر 2016م: "أخبار الحدود الطرابلسية سيئة للغاية، تراجعت فرقنا دون أن ننهزم أمام السنوسيين، لم تعد هناك مراقبة للحدود، فقد ابتعدت فرقنا عنها، بعد أن استرجعت جانت غادرتها كما غادرت نقاط أخرى: إن هذا الترجع أمام حوالي مئة بندقية مثير للشفقة، إذا فمن الواضح أنه إذا استمرينا في التراجع بدون مقاومة فإن السنوسين سيقدمون، إذا لم تغير هذه المنهجية فإنهم سيصلون إلى هنا في بعض الوقت[3].

لقد مثل فوكو السلطة العسكرية التي كان يُمثلها الرائد لابرين والسلطة الدينية، ولكنه يظل في نظر السلطان الفرنسية هو الذي ثبت النفوذ الفرنسي في الجنوب[4]، فمن جديد تقع احتملات فوكو في محلها، فلم يمض وقت طويل حتى وصلت فرق التمرد إلى هناك من نفس الإتجاه الذي تصوره،وهذا

(1) مرموري: التوارق...، مرجع سابق، ص 313.

(2) يحي بوعزيز: **"انتفاضة التوارق بآزجر والهقار (1916-1919م)**، مجلة الثقافة، ع 93، السنة 16، شعبان-رمضان 1406هـ/ماي-جوان1986م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1986م، ص 179 .

(3) مرموري: المرجع السابق، ص 316 .

(4) سعد الله: المرجع السابق، ص 134.

ما يبرز كفاءته الإستراتيجية والعسكرية، و لم تكتف بذلك بل وصلت إلى برجة الحصين حاملة معها حدًا لحياته[1].

4- رد فعل سكان الهقار ونهايته:

كان لابد أن تكون نهاية شارل دي فوكو وخيمة في الهقار، فبعد إقامة طويلة بين سكان تمنراست أخذت نشاطات هذا الراهب تتطور وأصبحت مشبوهة ومثيرة للشكوك، ومن الأسباب التي أدّت إلى مقتله ما يلي:

-الإعدامات التي نفذها القائد العسكري ببرج تاهاوهات (قرب تمنراست) في حق بعض المواطنين التوارق، فقد اتضح أن كثيرا من هؤلاء الضحايا كانوا ممن أوفدهم إليه الراهب فوكو محمّلين برسائل كانوا يعتقدون أنها ستنفعهم وبالتالي يتحصلون على بعض المعونات الغذائية، في حين أن شارل دي فوكو كان يدفعهم إلى الموت بعد أن يئس منهم وآثاروا مخاوفه كعناصر وطنية لا يؤتمن قربها إليه.

-تعامله ونشاطاته المشبوهة مع الجنود الفرنسيين .

-إخلافه للوعد الذي قطعه، والقاضي بعدم ادخال الأسلحة أو الذخيرة إلى البرج الذي كان يقيم به[2].

لهذه الأسباب تهيأت ظروف قتلة في إطار التحضيرات لتحرير إقدر بنيجر بعث كاويسن بفرقة مسلحة صغيرة إلى تمنراست تتكون من 15 فردًا من آيت لواين، شخص من إرجناتن وشخص آخر من جانت، كان يقود الفرقة "آبا أق غبلي"، تكمن مهمتها في الحصول على السلاح والذخيرة

(1) مرموري: التوارق...، مرجع سابق، ص 316 .

(2) بوشارب: الهقار...، مرجع سابق، ص 124 .

والمؤونة التي كانت مخبئة في الحصن الذي يوجد به الراهب، ونظرًا لمناعة الحصن إستعانوا بـــالمدني" أق سوبا" الذي يعرف الأب جيدًا ومعتاد على تسليمه البريد[1].

في يوم الجمعة 01 ديسمبر 1916م على الساعة الخامسة مساءا حاصرت المجموعة الـــبرج في سريّة تامة، فاقترب "المدني" كالعادة من الباب ليعلن عن وصول البريد[2]،كان فوكو في غرفته ولمـــا سمع طرق الباب المقفل بإحكام سأل من ورائه عن الزائر، فأجاب "المدني" البوشـــطا (El Bochta) أي البريد، فتح دي فوكو الباب ومدّ يدة لاستلام البريد ليُسحب منها بالقوة، لم يســـتطع المقاومـــة وجُر إلى الخارج، حيث ألقيَّ عليه القبض وقيّد و يديه مربوطيتين وراء ظهره، أحاط بـــه التـــوارق وطرحوا عليه مجموعة من الأسئلة، سألوه عن وقت قدوم العسكريين؟ وأين يوجدون؟ وسألوه عـــن حامية موتلنسكي؟ لكنه بقي صامتا رغم تكرار الأسئلة[3]، وأوكلت حراسته إلى شباب اسمه سرمي آ ق تورا (Sermi Ag Tora) [4]، البعض الآخر ذهب بحثا عن مبارك (Paul) قـــادوه إلى الـــبرج وألزموه بالجلوس قرب الأب يسار البوابة، تشاور الفلاقة فيما بينهم ثم انشـــغلوا في خـــذ الســـلاح والذخيرة والمؤونة [5]وبينما كان البقية في الخارج متخوفين من قدوم العساكر شاهد أحدهم رجلـــين من المهاريست الشعانبة قادمين من برج موتلنسكي وهما: بوعيشة (Bou Aicha) وبوجمعـــة بـــن ابرهيم (Bou Djemaa Ben Brahom) وبدأ بالصراخ ينادي ويقول : جـــاء العـــرب، جـــاء العرب، وذلك لتنبيه رفاقه في الداخل ،فورا قام هؤلاء بالخروج والإختباء وراء الحصن، هذا ما أثـــار فضول العسكريين فتقدما إلى الحصن لمعرفة ما يجري، استغل فوكو الوضع وقام بحركة غريبة للفـــت

(1) مرموري: المرجع سابق، ص ص 316-317 .

(2) Antoine Chatelard : **La Mort De Charles De Foucanld**, Edition Karthala, Parice (France), 2000, P 20.

(3) Georges Gorrée : **La Vérité Surl'assassinat Du Pére De Foucauld**, Editions Felix Moncho, Rabat (Maroc), 1941, PP 21-220

(4) **سرمي آ ق تورا:** كان أصغر شخص بين الفلاقة يبلغ من العمر 15 سنة. ينظر: Georges Gorrée :Ibid, P21

(5) بفضل تدخل أحد الفلاحين يدعى محمد بن بركة لم يعدم مبارك. ينظر: Gorrée : Ibid, P 22

انتباه المهاريست[1]،فاعتقد الحارس سرمي أق تورا أنه يريد تخليص نفسه فهدده بالسلاح الموجه نحو رأسه في ذلك الحين أطلق التوارق في الخارج النار على بوعيشة الذي قتل فورًا هو وجمله، وكذلك علي بوجمعة الذي حاول الفرار لكنه لم ينج ولقي نفس مصير رفيقه،فإطلاق النار زاد من ارتباك سرمي لأنه اعتقد أنه إعلانا عن وصول كتيبة فرنسية، لم يمتلك نفسه فأطلق النار على الراهب فوكو فدخلت الرصاصة من أسفل أذنه اليمنى وخرجت من عينه اليسرى متجهة صوب الحائط، وسقط فوكو على جنبه ميتا دون النطق بأية كلمة غارقا في دمائه[2]، ولا تزال آثار الرصاص ظاهرة على جدار البرج إلى يومنا هذا [3].

لقد اعتقد كتاب سيرة فوكو أن اغتياله كان مبرمجا ومقصودا[4]، ولكن كما يبدو لنا أن اغتياله لم يكن مُدبرا، لأن آبا أق غبلي" لم يكن يقصد قتل الراهب من وراء اقتحام الحصن، وقد عاتب "سرمي" على فعلته، لكن ما حدث قد حدث، ففوكو وفر أسباب فنائه في اللحظة التي جند فيها نفسه في خدمة الضباط العسكريين وتعاملاته المشبوهة مع الجنود الفرنسيين وإدخاله الأسلحة إلى حصنه[5].

لقد أثار مقتل الراهب شارل دي فوكو حزنًا عميقًا لدى بعض الأهالي خاصة زعيمهم الأمينوكال موسى أق أمستان الذي كان أقرب الأصدقاء إليه[6]، أما السلطات الفرنسية فإنها لم تسكت عن مقتله،واعتبرته أمرًا مدبَّرا[7]، وسعت بإصرار ولمدة طويلة لمطاردة الشاب سرمي أق تورا

(1) Chatelard : Opcit, P 22 .

(2) Gorrée : La Vérite…, Op cit, P 22.

(3) بوشارب :الهقار...، مرجع سابق، ص 125 .

(4) حسب ما أورده Gorrée أن أبا أق غبلي قد تصرف حسب تعليمات السنوسين معتبرا أن اغتياله كان مدبرا فلا يمكن لهذه الغزوة الصغيرة أن تقتل رجل الدين ولابد أن يكون هناك عدو وراء ترتيبه. ينظر : Gorrée : Op cit, P 21 .

(5) مرموري: التوارق...، مرجع سابق، ص 318 .

(6) ينظر الملحق رقم(18): رسالة الأمينوكال موسى آق أمستان إلى روني بازان.

(7) مرموري: التوارق ...، مرجع سابق، ص 319 .

إلى أن القت عليه المخابرات القبض في الحدود الجزائرية الليبية عام 1956م[1]، وسجن ببرج جانت شارلي، وهناك تلقى أقسى أنواع التعذيب وأبشعها ليقتل في الأخير [2].

هذه اذن أهم الحقائق المتعلقة بالراهب شارل دي فوكو ،الذي قضى قرابة العقدين من عمره يجري وراء سراب صحراء الهقار إلى أن قضى نحبه بها.

لقد أثبت التوارق وسكان الجنوب الجزائري رسوخ إيمانهم وتعلقهم بانتمائهم الحضاري، واعتزازهم باللغة العربية وحفظهم للقرآن الكريم، ولا أدل على ذلك الدور الريادي الذي لعبته الزوايا وتمسكهم بعقيدتهم السمحة مع عدم تسجيل أي حالة من حالات الردة أو الدخول في المسيحية .

(1) بوشارب: المرجع سابق، ص 125 .

(2) مرموري: المرجع السابق، ص 319 .

خاتمة

في ختام هذه الدراسة، توصلت إلى جملة من الملاحظات و الإستنتاجات أوجزها في مايلي:

- لم يكن الإهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية وليد الصدفة ،بل كان تخطيطاً مبرمجاً منـــذ مـــدى بعيد،ذلك أن هذه العملية قد بدأت بإرسال الجحافل الأولى من المغامرين المستكشفين مـــن رجـــال الدين المسيحيين إلى الصحراء أمثال "رونييه كاييه"و"هنري بارث"ودوفيريه"و"فلاترس" وغيرهم ،وقد تقمصوا شخصيات متعددة في أشكال رجال دين وأطباء ومتسولين وضباط مُتنكرين في لباس أهـــل المنطقة وما إلى ذلك لكي يخفوا نواياهم المبيتة ،وقد تعرض الكثير منهم إلى الهلاك بعد أن جـــالوا في أرجاء الصحراء وقدموا تقاريرهم ومذكراتهم عنها لفرنسا لاحتلال أراضيها الزاخرة بالثروات المعدنية ،فضلاً عن كونها مناطق إستراتيجية بالغة الأهمية .

-أن مشاريع السكك الحديدية، قد أعطت دفعاً قوياً للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية هذا من جهة ،ومن جهة أخرى فإن الخطوط التي تمَ إنجازها قد ساهمت إلى حد بعيد في نهـــب واســـتغلال الثروات الطبيعية في الصحراء الجزائرية.

-لقد ارتبط التنصير بالإحتلال الفرنسي ارتباطاً وثيقاً تزعمته شخصيات دينية مسيحية كـــثيرة مـــن أبرزها الكاردينال لافيجري الذي سخر كل مافي وسعه من طاقات تبشيرية دينيـــة ومـــوارد ماليـــة ومعارف علمية لإنجاح برنامجه التبشيري في الجزائر.

-تمكن لافيجري من تأسيس أول جمعية دينية تبشيرية مسيحية على أرض الجزائر وهي جمعية الآبـــاء وبعدها جمعية الأخوات البيض اللتان مازالتا تنشطان في حقل التبشير في مختلف أرجاء العالم.

- لقد حاول لافيجري من خلال إنشاء فرقة إخوان الصحراء المسلحين الدينية إخضاع ماتبقى له من مناطق الصحراء بالقوة بعد أن عجز الآباء من الوصول إليها ،وما اختياره لبسكرة ســـوى لأهميتـــها الدينية من واحات الصحراء ،ورغم الآمال التي علقها على هذه الفرقة ،إلا أن السلطات الفرنســـية قامت بحلها لتخوفها من ردود أفعال السكان المتمثلة في القيام بأعمـــال جهاديـــة ،وبالتـــالي فـــإن الكاردينال عاش على صدمة هذا القرار وهو في أواخر حياته.

-تَمركز نشاط الآباء والأخوات البيض في مناطق مختلفة من الصحراء الجزائرية بداية من الأغواط التي أنشئت بها أول أسقفية للصحراء حتى أصبحت مقراً للمحافظة الرسولية على الصحراء ،ثم تمركزو في ورقلة عام1837 م،وتلاها بعد ذلك إنشائهم مركزين في كل من غرداية ومتليلي عام 1884م،ومنه كان الإنتقال إلى المنيعة وتأسيسهم لمركزهم في عام1892م،ورغم تأخر انتصـــابهم في الهقـــار إلا أن وصول شارل دي فوكو إليها شكل نقطة التحول في النشاط التنصيري بالصحراء الجزائرية.

-شهدت المنطقة نشاط كثيف للمنصرين وتنوعت أساليبهم ووسائل احتكاكهم بالسكان،مما مكنهم من استقطاب فئات عديدة من السكان في شتى ميادين نشاطهم كـــالتعليم والتطبيـــب والفلاحـــة والأعمال الخيرية وتربية الأيتام ،وكلها أساليب استخدمها المنصرون كوسيلة لخدمة الكنيسة وتثبيت الصليب في ربوع الصحراء.

-ارتبط إسم شارل دي فوكو بالتنصير ،ونشأت أسطورة حول هذا الراهـــب ولاســـيما في عهـــد الاحتلال الفرنسي ،بدأها عسكرياً حيث تخرج من أرقى مدرسة للجيش الفرنسي ،تعلم منها الكثير من التقنيات والاستعمالات العسكرية واستراتيجيات المعارك والحروب التي استفاذ منها فيما بعد في رحلته العسكرية إلى المغرب ،ورسمه للخرائط الطبوغرافية ومناطق تواجد السكان والطرق ومصـــادر المياه وما إلى ذلك ،والتي إستغلها الجنرال ليوتيLyautey كثيرا في احتلال المغرب .

-لقد سافر إلى المغرب حاخاماً يهودياً بينما استقر بالصحراء الجزائرية راهباً مسيحياً، قضى سنتين في بني عباس بالقرب من المغرب الذي كان يتمنى الاستقرار به إلا أن الظروف حولـــت اســـتقراره إلى الهقار ،بفضل إرادة الجيش وعلى رأسهم لابرين الذي اقترح عليه القيام بمهمته التنصيرية في أوســـاط التوارق .

-تمكن من الإندماج في وسط المجتمع التارقي فتعلم لغتهم وأتقنها ،وأبدع في أعماله اللغوية لم يسبق لأحد أن قام بها قبله ولابعده منها :القاموس الذي يحتوي على أكثر من ألفي صفحة والعديـــد مـــن

المؤلفات الصغيرة حول القواعد والشعر المحلي الذي جمع منه 600مقطع ترجمهـــا إلى الفرنســـية ،وهـــذا مكسب للغة التارقية "تماهق" بدون شك.

-انتهج شارل دي فوكو مشاريع سياسية مزدوجة فاتبع سياسة علمية في المغرب ،أين احتـــل إسمـــه المرتبة الأولى بين المغامرين والجغرافيين ،وسياسة إجتماعية في الصحراء أين كانت أعمالـــه مرتبطـــة ارتباطاً وثيقاً بأعمال الضباط الفرنسيين.

- وضع شارل دي فوكو إستراتيجية تنصيرية إستعمارية في الصحراء ،حيث بلغ التعاون والتنسيق بينه وبين الضباط العسكريين أشده في الحرب العالمية الأولى فأظهر كفاءة استراتيجية واضحة ،فكانـــت احتمالاته دائما صائبة، وقدّم حلولا تكتيكية ،واجراءات عقابية ضد المتمردين ،ولعل حشر نفسه في تلك المهمة وجلبه لأسلحتهم وذخيرتهم هو السبب الأول في موته.

- لقد أثبت سكان الصحراء رسوخ إيمانهم وتعلقهم بانتمائهم الحضاري ،واعتزازهم باللغة العربيـــة وحفظهم للقرآن الكريم ،ولا أدل على ذلك الدور الريادي الذي لعبته الزوايا وتمســـكهم بعقيـــدتهم السمحة مع عدم تسجيل أي حالة من حالات الردة أول الدخول في المسيحية.

الملاحق

1-ملحق الخرائط

2-ملحق الصور

3-ملحق الوثائق

الملحق رقم (01): مشروع سكة الحديد العابرة للصحراء في سنة 1890م[1]

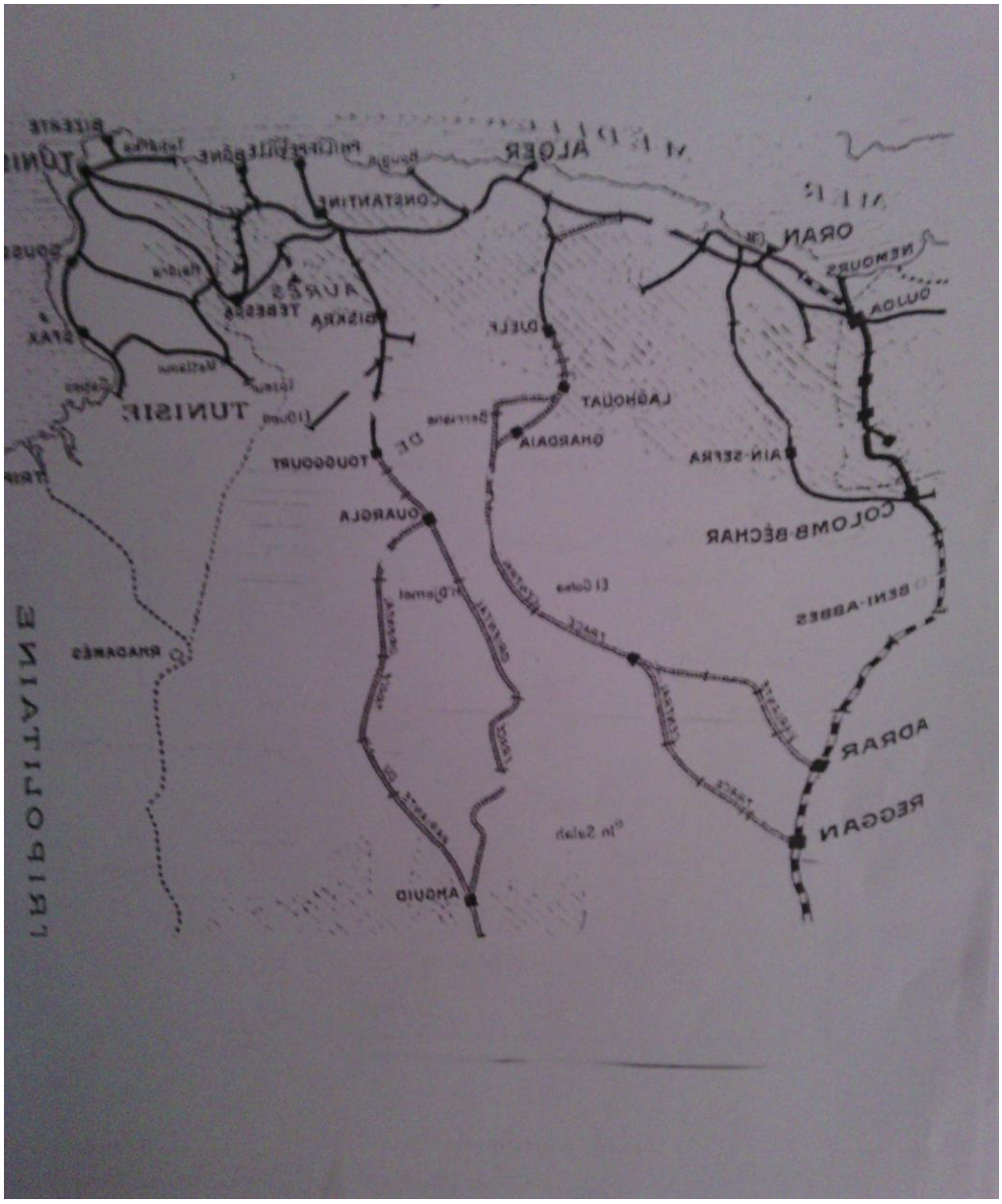

(1) Source :M'bokoto Elika: Des missionaires aux explorateurs, les européens en afrique.

الملحق رقم (02):خط سير الأب دي فوكو إلى المغرب1883-1884م[1]

(1) المرجع: احميده عميراوي :من الملتقيات التاريخية الجزائرية.

الملحق رقم (03): إحدى الخرائط التي رسمها شارل دي فوكو أثناء تواجده بمنطقة الهقار[1]

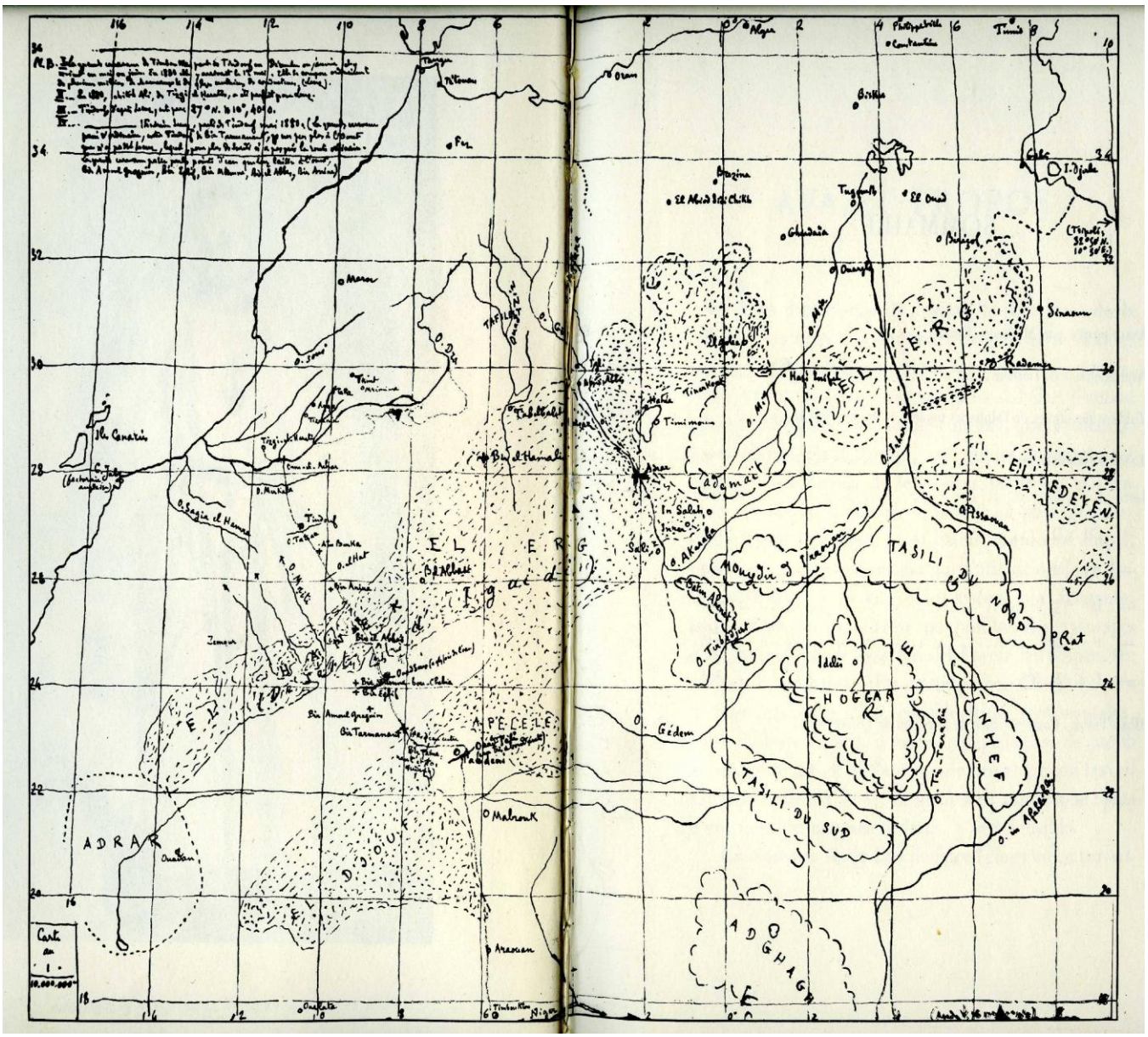

(1) Source :le Pére Charles de Foucauld :Dictionnaire Touarge –Français (Dialecte de 1ahoggar) , Tom Premier, Imprimerie Nationale de France, 1951.

الملحق رقم (04): صورة شارل دي فوكو أثناء تواجده بالمدرسة العسكرية سان سير (Sain-Syr) [1]

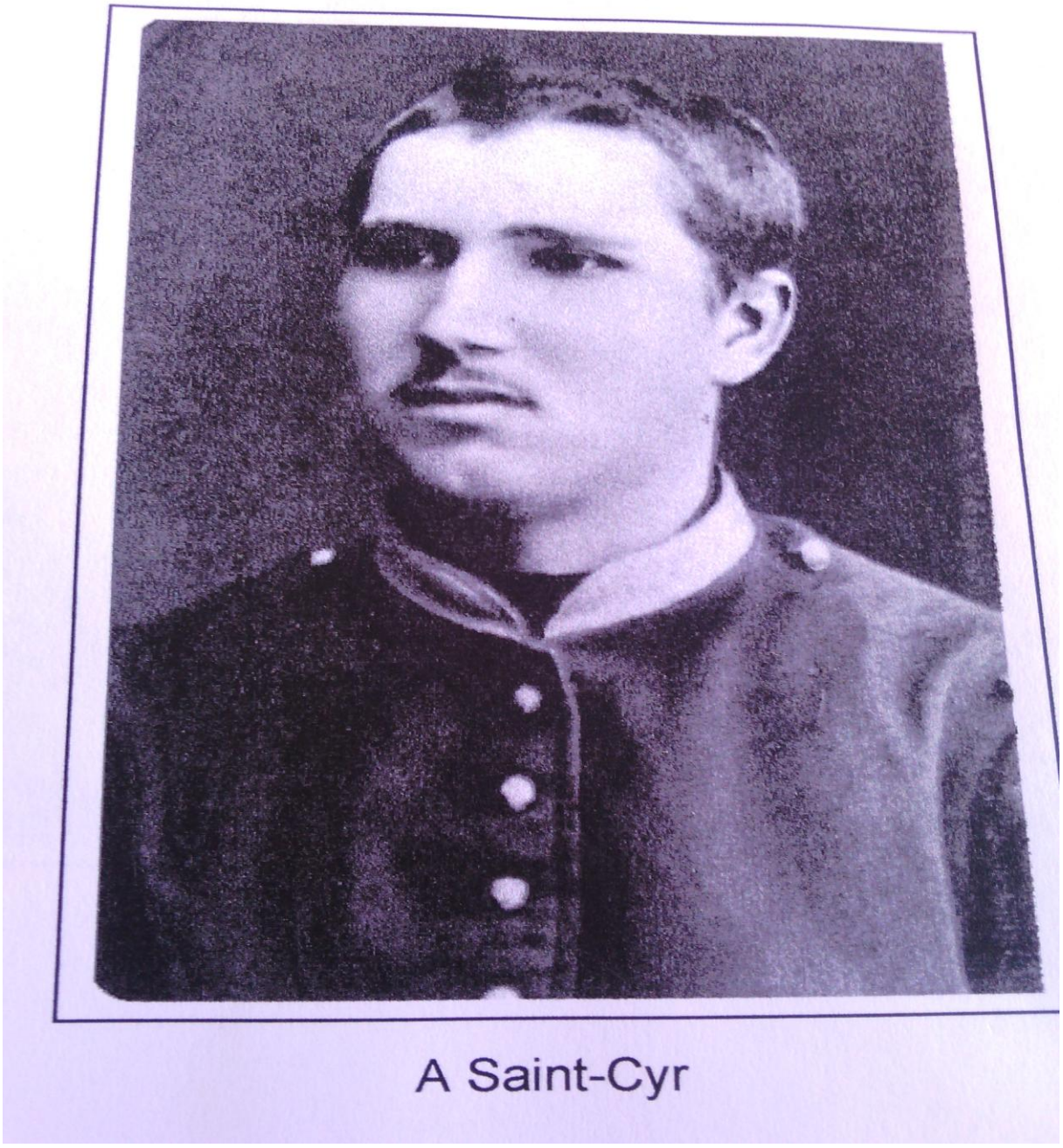

(1)Source :Charles de Foucauld en Photos , Plan de Classement des photographies ,numero :00 810 000 43 ,CCDS ,Ghardaïa .

الملحق رقم (05): صورة الراهب شارل دي فوكو أثناء تواجده بمنطقة الهقار [1]

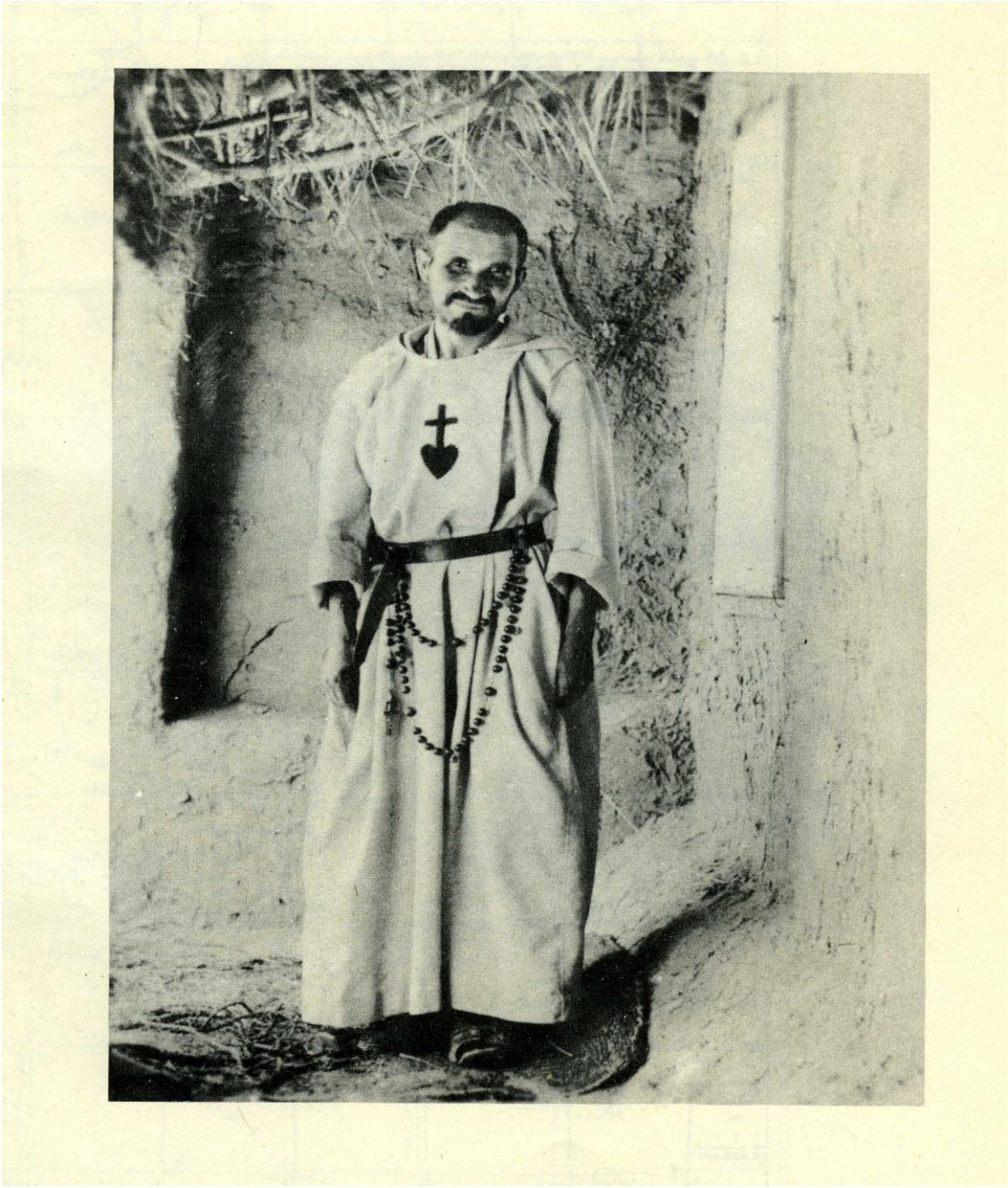

(1)Source :le Pére Charles de Foucauld :Dictionnaire Touarge – Français (Dialecte de l ahoggar).

الملحق رقم (06): شارل دي فوكو والطفل بول (مرابط)رفقة القائد لابرين[1]

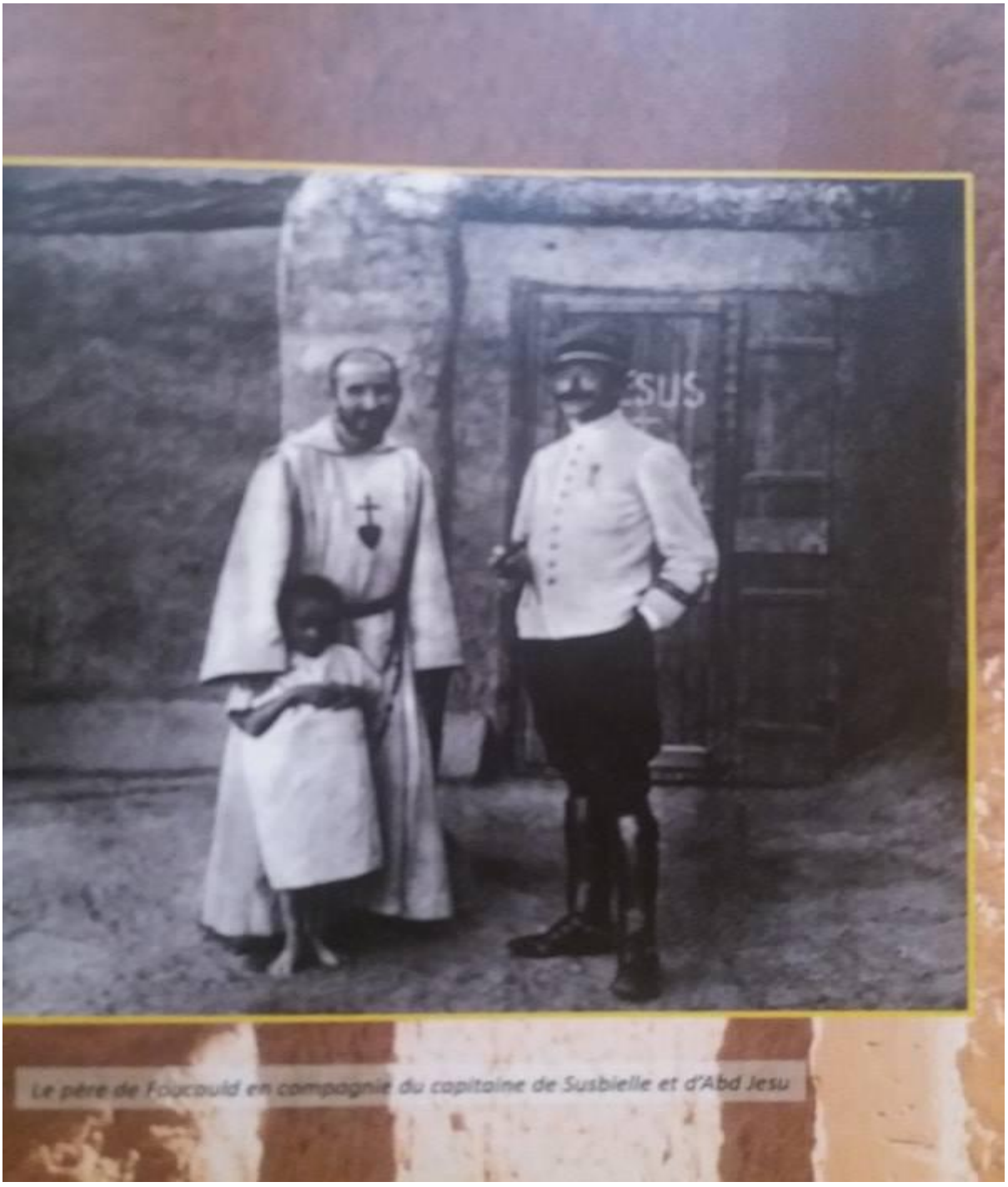

(1) الصورة ملتقطة من آلة التصوير الخاصة بالأستاذة ربيعة قريزة ،ملصقات موجودة في كنيسة المنيعة .

الملحق رقم (07): شارل دي فوكو وأوكسيم رفقة القس هوفلان وعائلته في فرنسا[1]

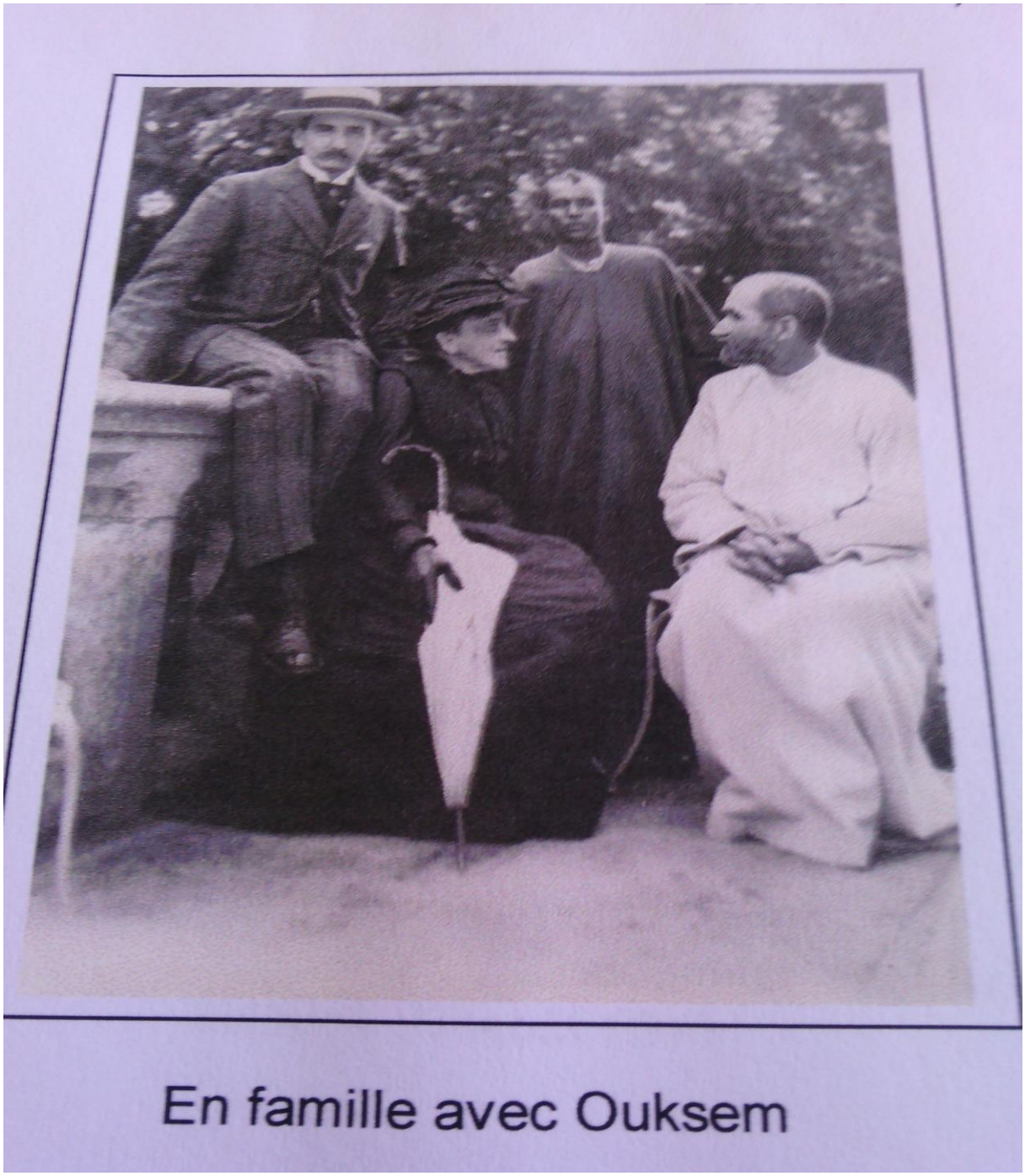

(1) Source :Charles de Foucauld en Photos , Plan de Classement des photographies ,numero :00 810 000 43 ,CCDS ,Ghardaïa .

الملحق رقم (08): صورة الأمينوكال موسى آق أمستان[1]

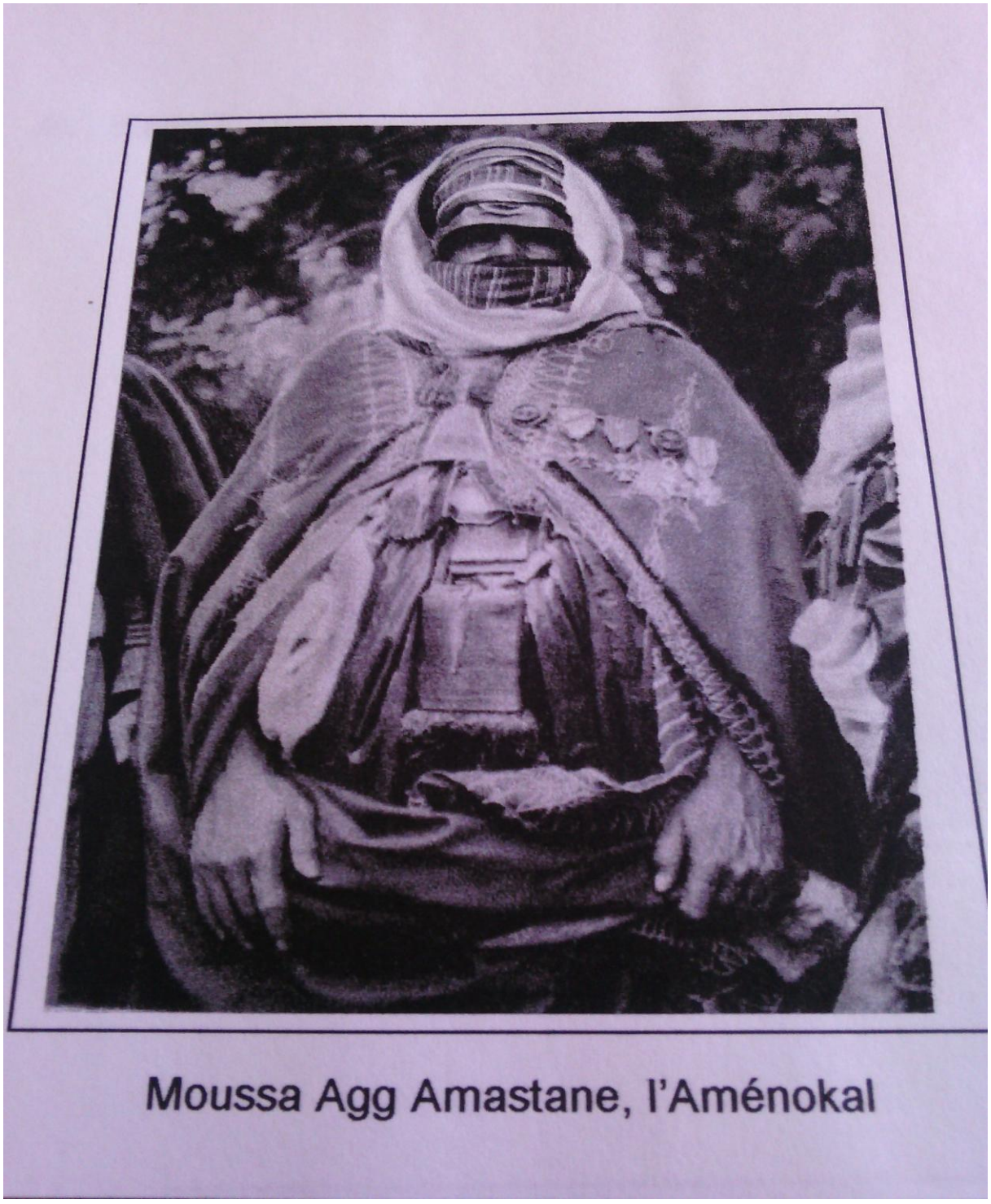

Moussa Agg Amastane, l'Aménokal

(1)Source :Charles de Foucauld en Photos , Plan de Classement des photographies ,numero :00 810 000 43 ,CCDS ,Ghardaïa .

الملحق رقم (09):بيت شارل دي فوكو في تمنراست [1]

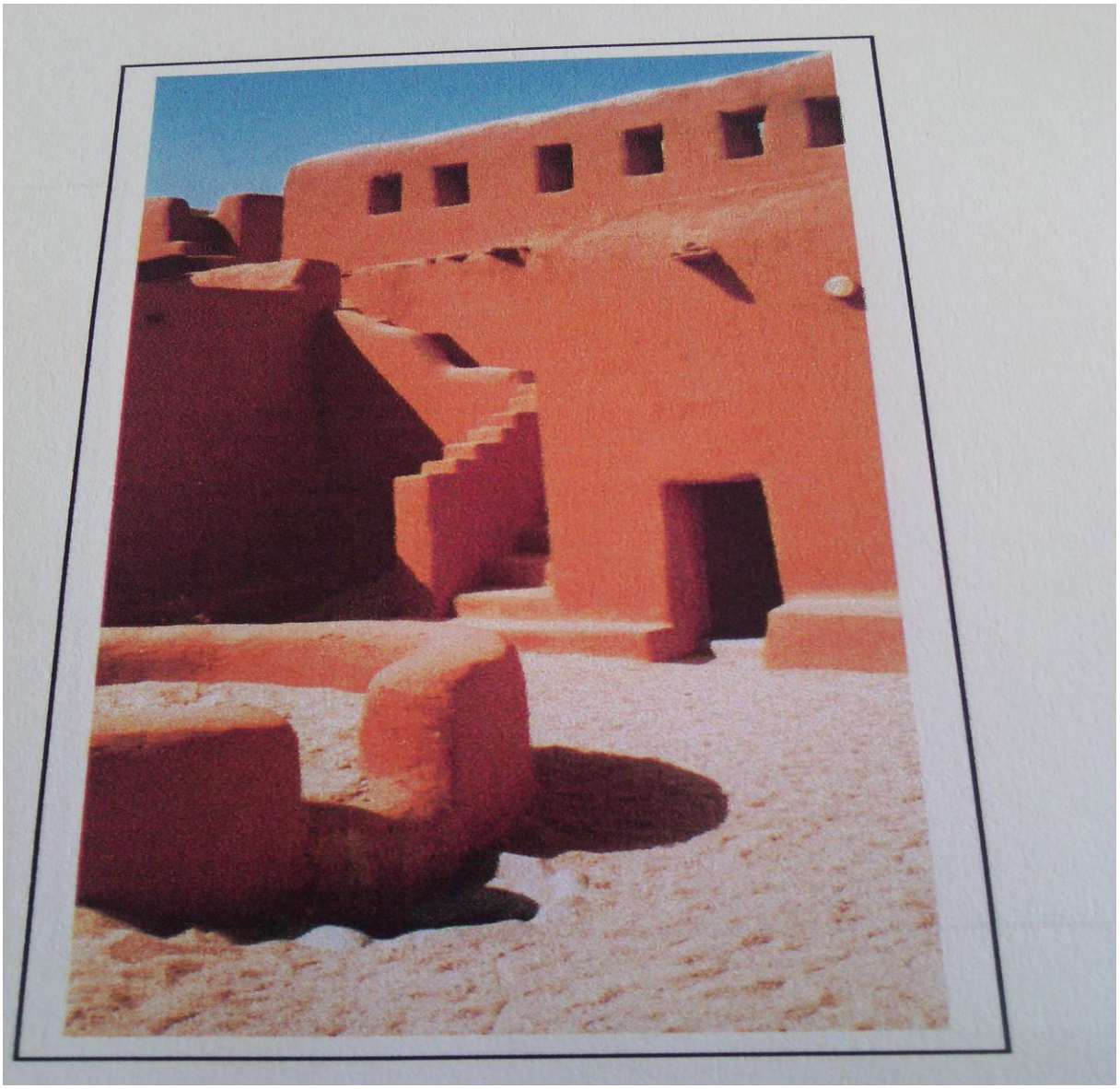

(1) Source :Charles de Foucauld en Photos , Plan de Classement des photographies ,numero :00 810 000 43 ,CCDS ,Ghardaïa.

الملحق رقم (10):ملجأ الأسكرام [1]

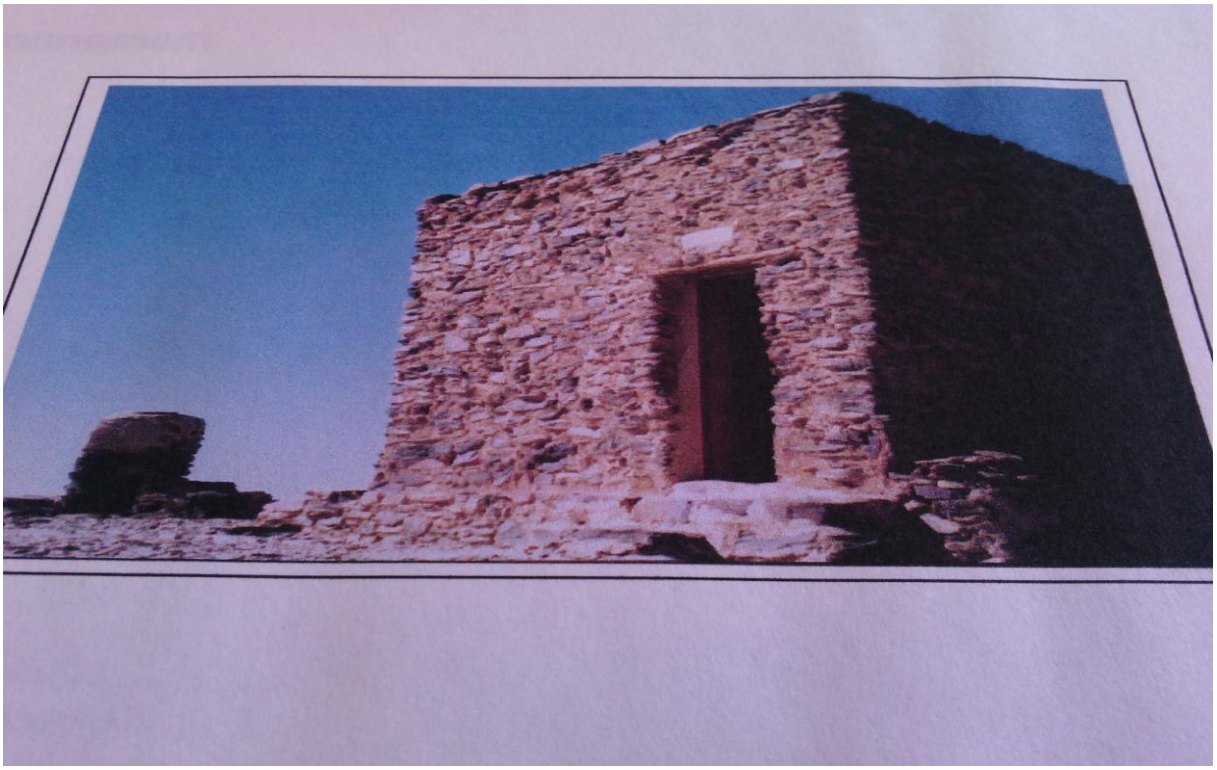

الملحق رقم (11): البرج أو الحصن الذي شيده شارل دي فوكو[2]

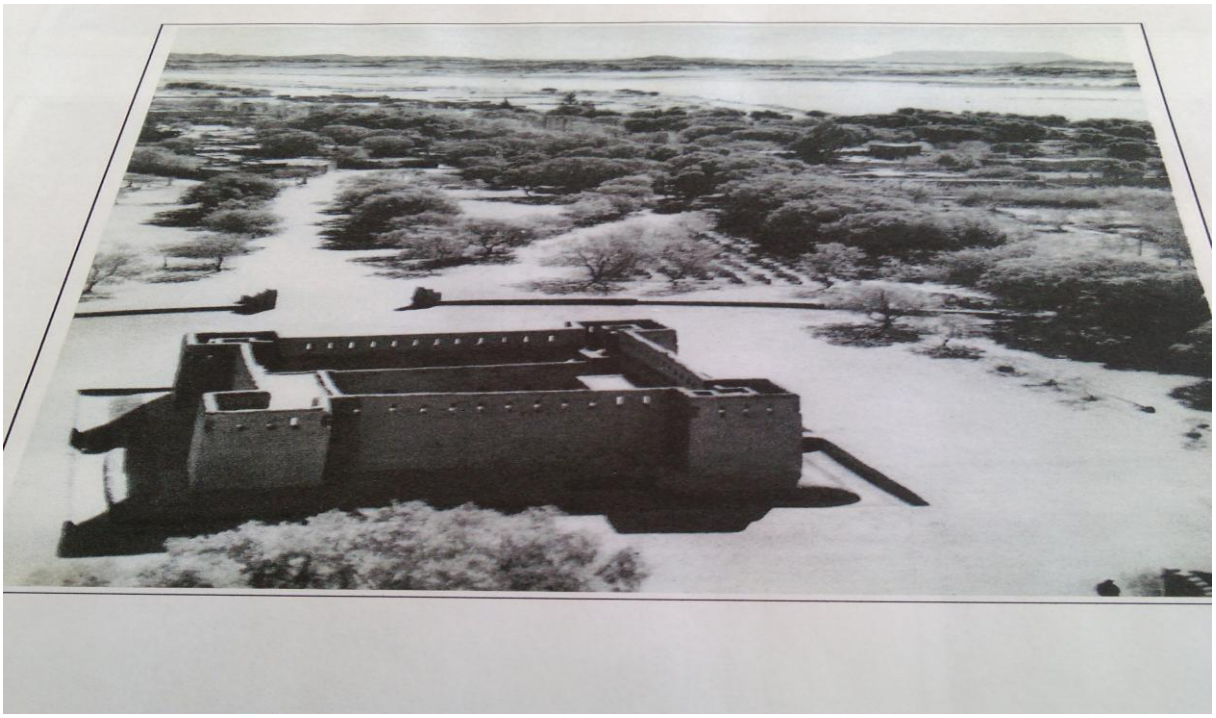

(1)Source :Charles de Foucauld en Photos , Plan de Classement des photographies ,numero :00 810 000 43 ,CCDS ,Ghardaïa.

(2) Charles de Foucauld en Photos ,Ibid

الملحق رقم (12): منزل شارل دي فوكو من الداخل في تمنراست[1]

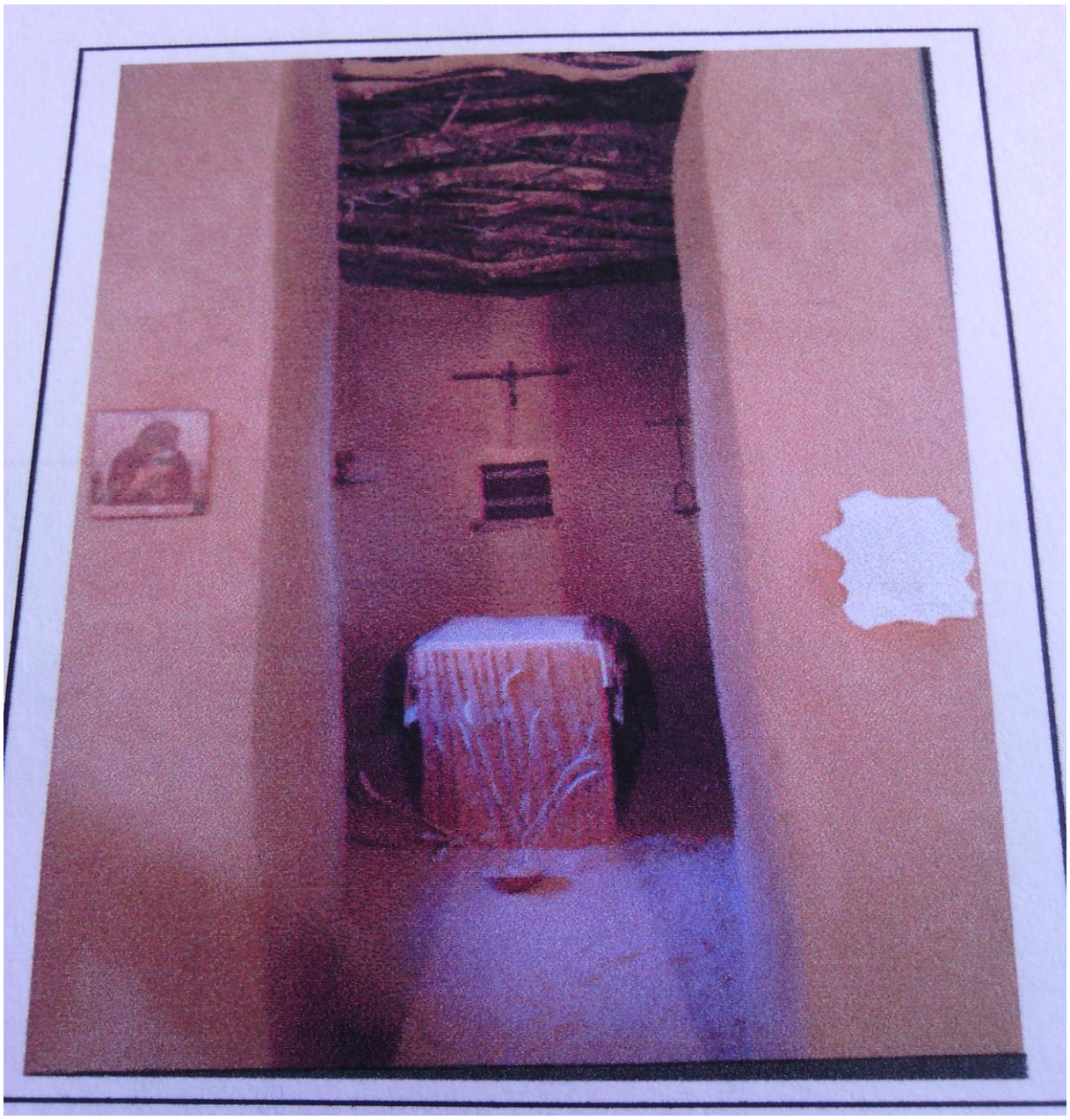

(1)Source :Charles de Foucauld en Photos , Plan de Classement des photographies,numero :00 810 000 43 ,CCDS ,Ghardaïa.

الملحق رقم (13): قبر شارل دي فوكو المتواجد في المنيعة [1]

(1) الصورة ملتقطة من آلة التصوير الخاصة بالأستاذة ربيعة قريزة .

الملحق رقم (14): غرفة شارل دي فوكو حاليافي بني عباس(بشار) [1]

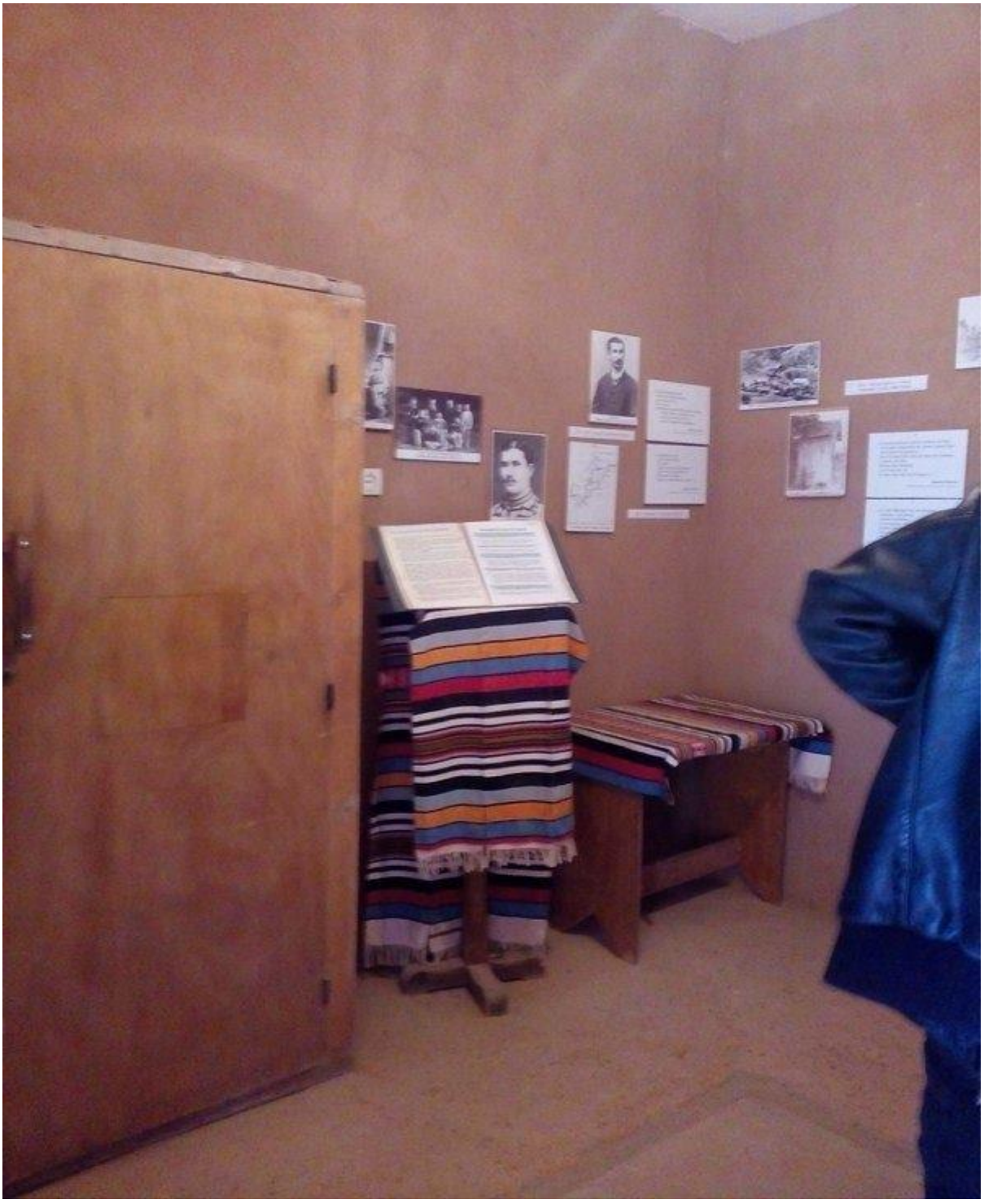

(1) الصورة ملتقطة من آلة التصوير الخاصة بي الطالبة إبتسام مكي .

الملحق رقم (15):قائمة للأساتذة الآباء اللائكيين بمدرسة الآباء من1884-1975[1]

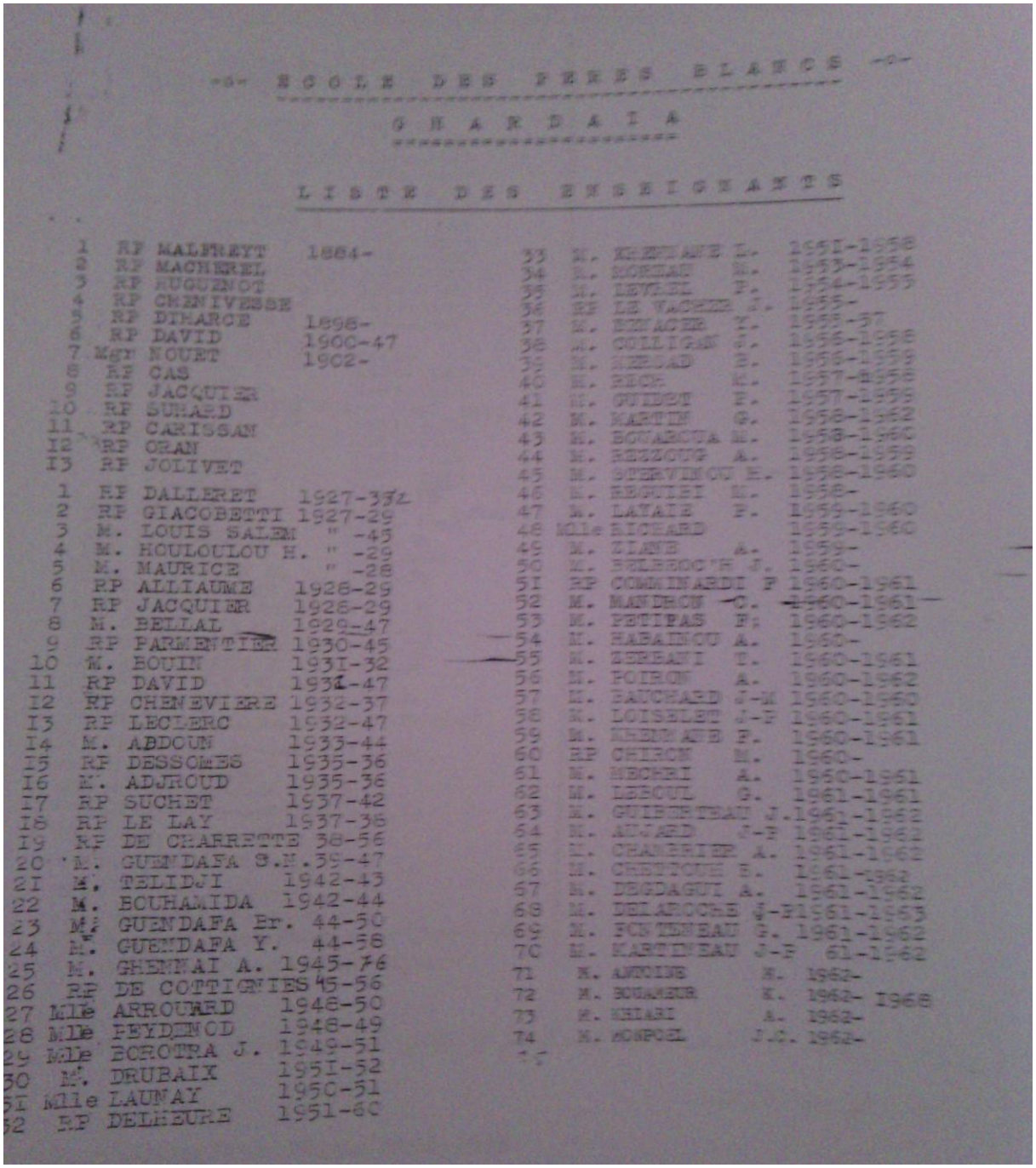

ECOLE DES PERES BLANCS

GHARDAIA

LISTE DES ENSEIGNANTS

1	RP MALFREYT	1884-	
2	RP MACHEREL		
3	RP HUGUENOT		
4	RP CHENIVESSE		
5	RP DIHARCE	1896-	
6	RP DAVID	1900-47	
7	Mgr NOUET	1902-	
8	RP CAS		
9	RP JACQUIER		
10	RP SURARD		
11	RP CARISSAN		
12	RP ORAN		
13	RP JOLIVET		
1	RP DALLERET	1927-32	
2	RP GIACOBETTI	1927-29	
3	M. LOUIS SALEM	" -45	
4	M. HOULOULOU H.	" -29	
5	M. MAURICE	" -28	
6	RP ALLIAUME	1928-29	
7	RP JACQUIER	1928-29	
8	M. BELLAL	1929-47	
9	RP PARMENTIER	1930-45	
10	M. BOUIN	1931-32	
11	RP DAVID	1931-47	
12	RP CHENEVIERE	1932-37	
13	RP LECLERC	1932-47	
14	M. ABDOUN	1933-44	
15	RP DESSOMES	1935-36	
16	M. ADJROUD	1935-36	
17	RP SUCHET	1937-42	
18	RP LE LAY	1937-38	
19	RP DE CHARRETTE	38-56	
20	M. GUENDAFA S.N.	39-47	
21	M. TELIDJI	1942-43	
22	M. BOUHAMIDA	1942-44	
23	M. GUENDAFA Br.	44-50	
24	M. GUENDAFA Y.	44-56	
25	M. GHENNAI A.	1945-46	
26	RP DE COTTIGNIES	45-56	
27	Mlle ARROUARD	1948-50	
28	Mlle PEYDENOD	1948-49	
29	Mlle BOROTRA J.	1949-51	
30	M. DRUBAIX	1951-52	
31	Mlle LAUNAY	1950-51	
32	RP DELHEURE	1951-60	
33	M. KHETTAFE L.	1951-1958	
34	M. MORIAU M.	1953-1954	
35	M. LEVEZEL P.	1954-1955	
36	RP LE VACHER J.	1955-	
37	M. BINACHE Y.	1955-57	
38	M. COLLIGAN J.	1956-1958	
39	M. AUBOUAD B.	1956-1959	
40	M. RICH M.	1957-1958	
41	M. GUIDOT P.	1957-1959	
42	M. MARTIN G.	1958-1962	
43	M. BOUABOUA M.	1958-1960	
44	M. REZZOUG A.	1958-1959	
45	M. STERVINOU E.	1958-1960	
46	M. REGUIEI M.	1958-	
47	M. LAZAIE P.	1959-1960	
48	Mlle RICHARD	1959-1960	
49	M. CLANE A.	1959-	
50	M. BELBROUK'H J.	1960-	
51	RP COMMINARDI P	1960-1961	
52	M. MANDRON C.	1960-1961	
53	M. PETIPAS P.	1960-1962	
54	M. HABAINOU A.	1960-	
55	M. TERBAUI T.	1960-1961	
56	M. POIRON A.	1960-1962	
57	M. BAUCHARD J-M	1960-1960	
58	M. LOISELET J-P	1960-1961	
59	M. KHENNAFE F.	1960-1961	
60	RP CHIRON M.	1960-	
61	M. MECHRI A.	1960-1961	
62	M. LEBOUL G.	1961-1961	
63	M. GUIBERTEAU J.	1961-1962	
64	M. AUVARD J-P	1961-1962	
65	M. CHANDRIER A.	1961-1962	
66	M. CHEVITOUE B.	1961-1962	
67	M. DEGDAGUI A.	1961-1962	
68	M. DELAROCHE J-P	1961-1963	
69	M. FONTENEAU G.	1961-1962	
70	M. MARTINEAU J-P	61-1962	
71	M. ANTOINE M.	1962-	
72	M. BOUAMEUR K.	1962- 1968	
73	M. KHIARI A.	1962-	
74	M. MONPOEL J.C.	1962-	

(1) المصدر:أرشيف غير المصنف بمكتبة البحث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية يحتوي مجموعة وثائق ،مكتوب على علبة الأرشيف : .Ghardaïa ,école des pére Blancs 1884–1976

الملحق رقم (16): إحدى الرسائل التي أرسلها شارل دي فوكو أثناء تواجده في بني عباس إلى الأب فولارد في غرداية 12-01-1902 [1]

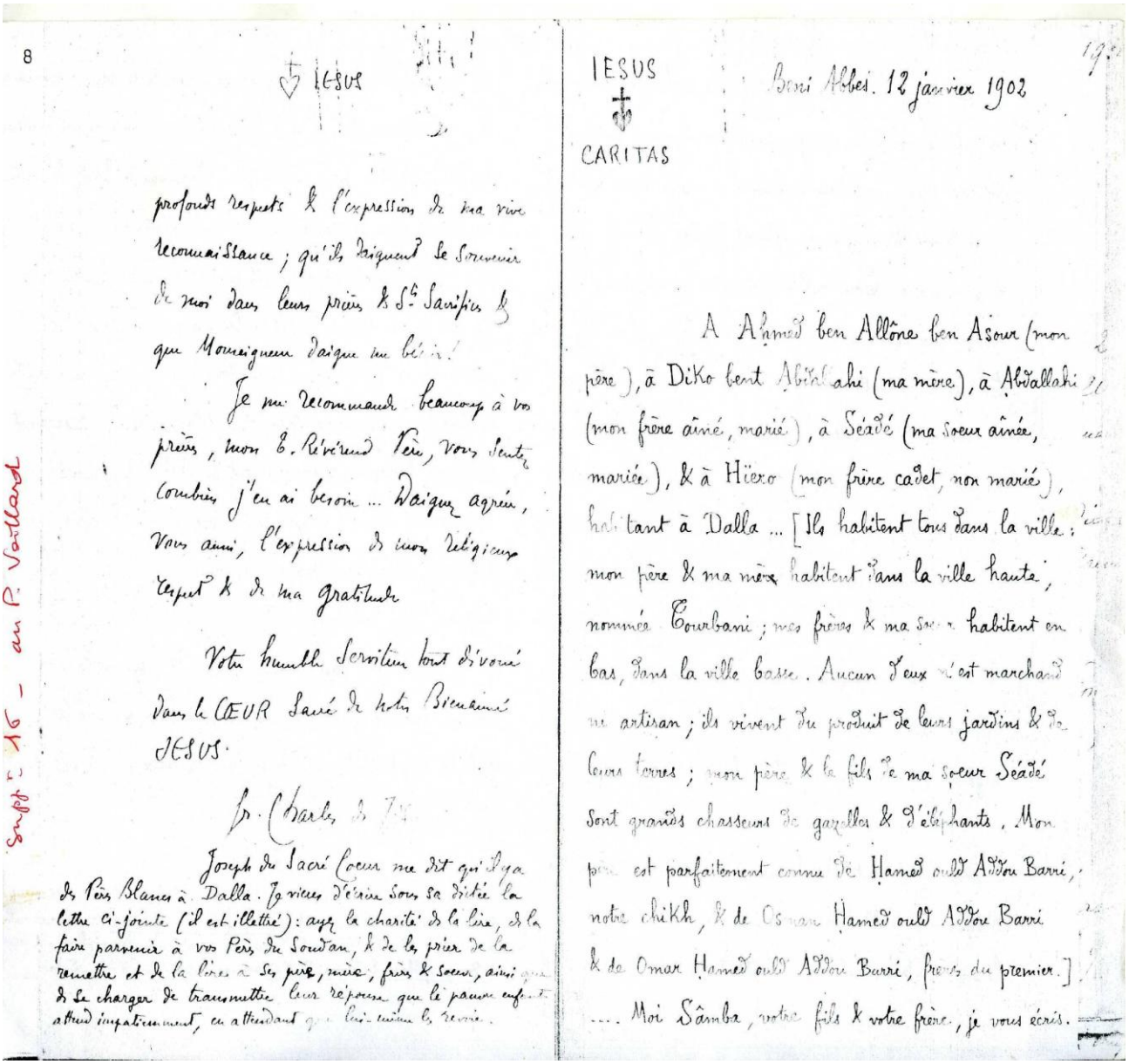

8

✠ IESUS

profonds respects & l'expression de ma vive reconnaissance ; qu'ils daignent se souvenir de moi dans leurs prières & ſts Sacrifices & que Monseigneur daigne me bénir !

Je me recommande beaucoup à vos prières, mon b. Révérend Père, vous sentez combien j'en ai besoin ... Daignez agréer, vous aussi, l'expression de mon religieux respect & de ma gratitude

Votre humble Serviteur tout dévoué dans le CŒUR Sacré de notre Bienaimé JESUS.

fr. Charles de J.

Joseph du Sacré Cœur me dit qu'il y a des Pères Blancs à Dalla. Je viens d'écrire sous sa dictée la lettre ci-jointe (il est illettré) : ayez la charité de la lire, et la faire parvenir à vos Pères du Soudan, & de les prier de la remettre et de la lire à ses père, mère, frère & sœur, ainsi que de le charger de transmettre leur réponse que le pauvre enfant attend impatiemment, en attendant qu'il vienne lui-même la revoir.

IESUS
✠
CARITAS

Beni Abbes. 12 janvier 1902

A Aḥmed ben Allône ben Asour (mon père), à Diko bent Abiḥ'lahi (ma mère), à Abdallahi (mon frère aîné, marié), à Séadé (ma sœur aînée, mariée), & à Hïero (mon frère cadet, non marié), habitant à Dalla ... [Ils habitent tous dans la ville : mon père & ma mère habitent dans la ville haute, nommée Courbani ; mes frères & ma sœur habitent en bas, dans la ville basse. Aucun d'eux n'est marchand ni artisan ; ils vivent du produit de leurs jardins & de leurs terres ; mon père & le fils de ma sœur Séadé sont grands chasseurs de gazelles & d'éléphants. Mon père est parfaitement connu de Hamed ould Addou Barri, notre chikh, & de Osman Hamed ould Addou Barri & de Omar Hamed ould Addou Barri, frères du premier.] .... Moi Sâmba, votre fils & votre frère, je vous écris.

Supplt 16 - au P. Voillard

(1)Ch .de Foucauld Avec MGr livinhac ,p, Voillard :lettres Mauscrites,letter Autographes ,numero :01 23 000 02 , CCDS ,Ghardaïa.

الملحق رقم (17): رسالة الأب غيران إلى شارل دي فوكو [1]

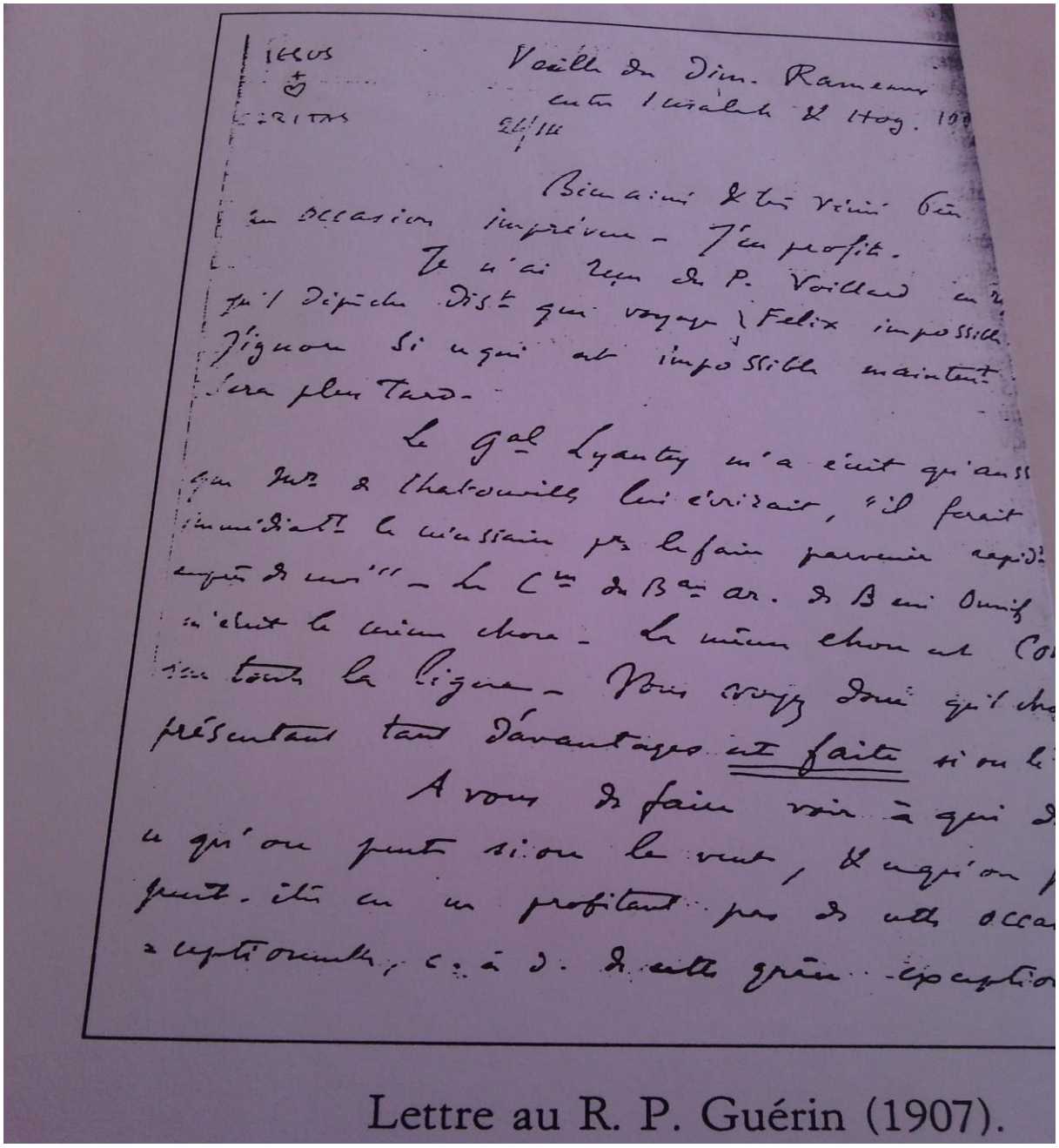

Lettre au R. P. Guérin (1907).

(1)P,Guérin à Foucauld : lettres Mauscrites,letter Autographes ,numero : 305 , p,807 , CCDS , Ghardaïa .

الملحق رقم (18): رسالة الأمينوكال موسى آق أمستان إلى روني بازان [1]

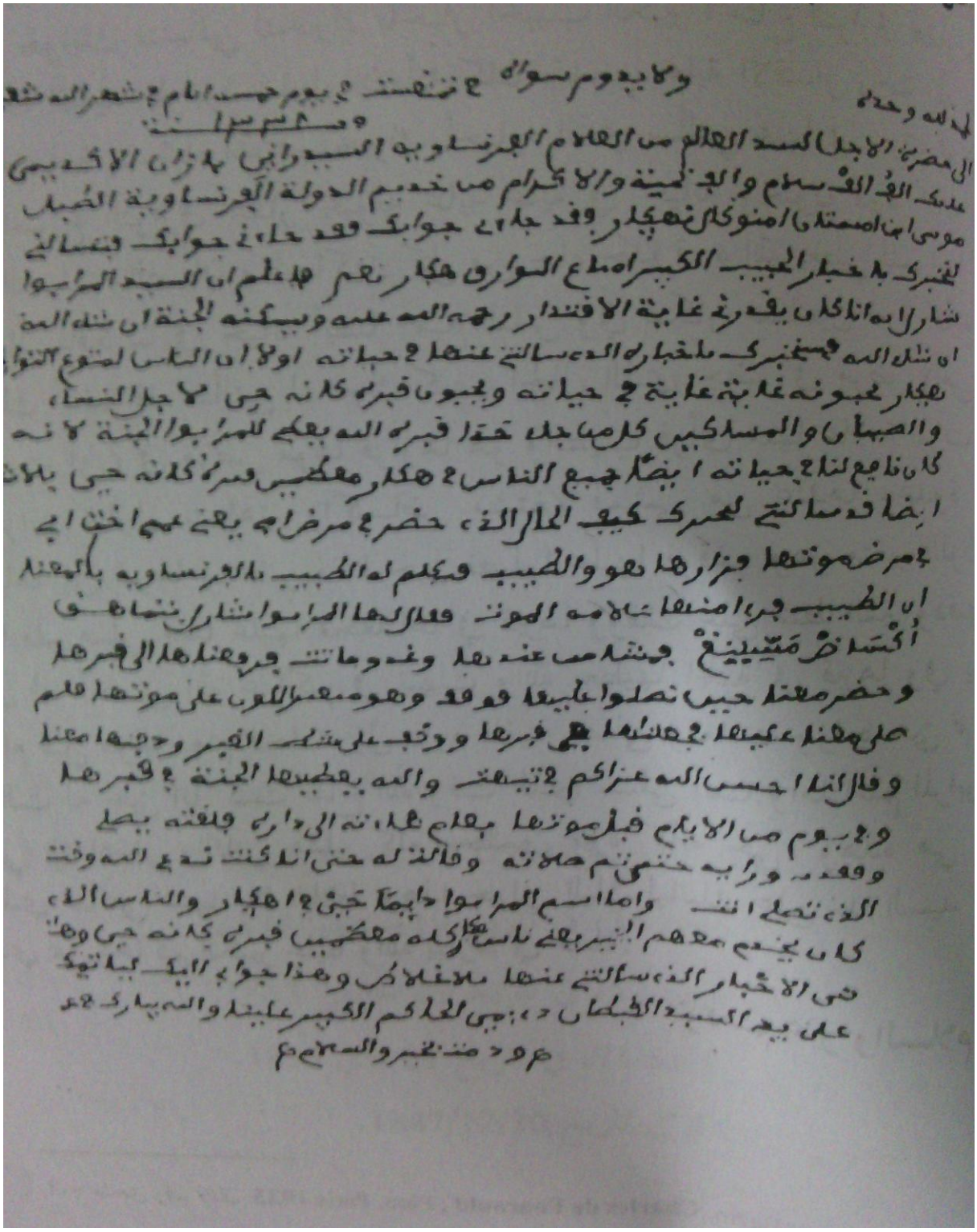

(1)René Bazin :Charles de Foucauld .

الملحق رقم (19): صفحة من القاموس الذي كتبه شارل دي فوكو التارقي-الفرنسي [1]

jambes ‖ p. ext. "demi-charge de chameau (mesure de capacité égale à 90 litres)". L'ăǧera sert de mesure de capacité pour les grains, le sel, les dattes, et autres matières analogues. Il contient 30 tăẓioua "mesure de capacité de 3 litres". Il est la moitié d'un ăǧeǧǧi "charge de chameau (mesure de capacité égale à 180 litres)". D.as, ăǧera est syn. de téṛerirt. v. 1'1'1 ǧaǧǧ, ăǧeǧǧi ‖ diffère de tamhit "sac en peau de dimension moyenne (formée d'une seule peau tannée de chèvre, mouton, jeune mouflon, ou an. de même taille)", qui a la même forme que l'ăǧera, a, comme lui, son ouverture au cou, et se suspend par les 4 jambes, mais qui est plus petite; la contenance de la tamhit, moins fixe que celle de l'ăǧera, varie de 20 à 70 litres ‖ diffère d'ămaital "sac en peau de dimension moyenne (formé d'une seule peau tannée de chèvre, mouton, jeune mouflon, ou an. de même taille)", qui a une forme un peu différente de celle de l'ăǧera et de la tamhit et se fabrique différemment. Au lieu de tanner la peau sans la fendre, on la fend d'un bout à l'autre dans le sens de la longueur, par le milieu du ventre; après le tannage, on la plie en 2 et on la coud, en ne laissant d'ouvert que le cou, bouche du sac, et en laissant les jambes pendre séparées et libres en dehors de la couture.

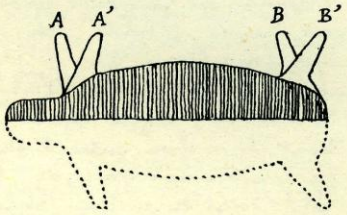

L'ămaital se suspend par 2 cordes attachées l'une aux jambes de devant A et A', l'autre aux jambes de derrière B et B'; sa contenance est de 20 à 50 litres ‖ diffère d'ălâlou "très grand sac en peau (formé d'une seule peau tannée de boeuf ou d'an. de même taille, ou de plusieurs peaux cousues ensemble formant un sac de la dimension et de la forme d'une peau de boeuf)", qui a la même forme que l'ăǧera et la tamhit mais est plus grand et a une contenance de 120 à 180 litres ‖ diffère de téṛerirt "grand sac en tissu (sac d'une contenance de 100 à 160 litres, en tissu d'alconque, laine, poil, toile, coton, etc)" ‖ diffère d'ăbelboḍ "petit sac (sac de dimension petite ou moyenne, de n'importe quelles forme et matière)" ‖ diffère d'ăsâmeḍ "sac (de n'importe quelles forme, dimension et matière)". Les ăǧera, tamhit, ămaital, ălâlou, téṛerirt, ăbelboḍ sont tous des ăsâmeḍ ‖ diffère d'ăbaoun, de tăbaount, d'aṛreǧ, de taṛrek, de tăsoufra, d'echchekoua, de tehaihait, d'eljebîra.

0'1'ăǧôur .0'1' sm. Φ (pl. iǧourren 10'1'), daṛ ǧourren ‖ eunuque; animal castré (alconque).

0'1'ăǧerou :0'1' sm. Φ (pl. iǧerân 10'1'), daṛ ǧerân ‖ grenouille.

(1) Source :le Pére Charles de Foucauld :Dictionnaire Touarge – Français (Dialecte de l ahoggar).

البيبليوغرافيا

1–الوثائق

2–المصادر

3–المراجع

4–المقالات

5–الملتقيات

6–المعاجم

7–المقابلات

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1-الوثائق المرقونة والمنشورة:

1-Ch .de Foucauld Avec MGr livinhac ,p, Voillard :lettres Mauscrites,letter Autographes ,numero :01 23 000 02 , CCDS ,Ghardaïa.

2-de Foucauld Charles en Photos , Plan de Classement des photographies numero :00 810 000 43 , CCDS ,Ghardaïa .

3- Sœur Blanche: Quelque Souvenir sur le poste de Ghardaïa , Fascicule numéro: 01.230.000 11 , Doc : X160G

4-أرشيف غير مصنف بمكتبة البحث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية ،يحتـــوي مجموعـــة مـــن الوثائق،مكتوب على علبة الأرشيف :

Ghardaïa : école des péres blancs1884-1976.

2- المصادر العربية والمعربة:

أ- المصادر العربية:

1-ابن بطوطة أبو عبيد الله: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح وتع :د.علـــي المنتصر الكتاني، ج2، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)،1985م.

2-أجرون شارل روبير : **المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية**، ترجمة وتقديم وتعليق: د.محمد العيد آل خليفة، منشورات ثالة، الأبيار (الجزائر)، 2013م.

3-دوفوكو ف. شارل:**التعرف على المغرب 1883-1884 (الأطلس)**، تح وتر: محمد بلعـــربي، ج2، ط1، دار الثقافة، المغرب، 1419هـــ/1999م.

4-دوفوكو ف. شارل: **التعرف على المغرب 1883-1884**، تر: المختار بلعربي، ج1، ط1، دار الثقافة، المغرب، 1419ه/1999م.

5-السعدي عبد الرحمان : **تاريخ السودان**،مطبعة هوداس ،باريس ، 1967م.

ب–المصادر الأجنبية:

1- Baunard M.G.R: **le cardinal lavigerie** ,Tome 2, librairie poussielgues, paris ,1898.

2- De foucauld charles: **carnets de beni abbes 1901–1905**, nouvelle cité, paris (France), 1993.

3- De Foucauld Charles: **Carnets De Tamanrasset 1905–1916**, Nouvelle Cite, Paris(France), 1986

4- le Pére de Foucauld Charles:Dictionnaire Touarge –Français (Dialecte de l ahoggar) , Tom Premier, Imprimerie Nationale de France, 1951.

5- Solelliet Paul:**l 'Afrique Occidental**, **Algérie**, **Mzab**, **Tlidiket**, **paris** (France) ,1877

3–المراجع :

أ/– المراجع العربية :

1–أبو عمران الشيخ: **قضايا في الثقافة والتاريخ**، ط2، منشورات تالة، الأبيار (الجزائر)، 2006م.

2–الأخت الصغيرة آني يسوع: **رجل يبحث عن الله شارل دي فوكو**، تـــر: الأســـتاذ داود داود، مطابع معوشي وزكرياء، 1997 م.

3– بقطاش خديجة: **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830–1871م**، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م.

4–بلغيث محمد الأمين: **تاريخ الجزائر المعاصر (دراسات ووثائق)**، دار بن كثير، بيروت (لبنـــان)، 2001م .

5–بوسليم صالح: **إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين18و19**، المطبعة العالمية ، غرداية(الجزائر)،2015/1436م.

6-بوشارب عبد السلام: **الهقار أمجاد وأنجاد**، ط1،نشر المتحـــف الـــوطني للمجاهـــد، الجزائـــر، 1995م.

7-بوعزيز يحي: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، دار البصائر للنشـــر والتوزيـــع، الجزائر، 2009 م .

8-الجيلالي عبد الرحمان: **تاريخ الجزائر العـــام**، ج4،ديـــوان المطبوعـــات الجامعيـــة، الجزائـــر، 1402هـــ/1982م.

9-الحاج سعيد يوسف بن بكير: **تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياســـية**، ط2، المطبعة العربية، غرداية (الجزائر)، 1427هـــ/2006م.

10-حاجي عبد الرحمان: **ورقلة تاريخ وحضارة**، دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر، 2010م.

خالدي مصطفى فروخ وعمر: **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، ط5، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1973م.

11-زبادية عبد القادر:**الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنـــوب الصـــحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 151.

12-سعدالله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)**، مج6، ط1، دار الفكر العربي، بيروت (لبنان)، 1998م.

13-سعيدان الحاج التومي:**سكان تدكيلت القدماء والإتكال على نفس**،دار هومة ، عين صـــالح(الجزائر)، 2005م.

14-سعيدي مزيان: **النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867-1892م**، ط1، الجزائر، 2009م.

15-شاتلار أنطوان: **شارل دي فوكو الطريق إلى تمنراست**، تر: الأب ألبير أبونا، منشـــورات دار نجم المشرق، بغداد (العراق)، 2005م.

16-العربي إسماعيل: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1983 م.

17-العربي إسماعيل: **تاريخ الرحلة والإستكشاف في البر والبحر**، المؤسسة الوطنيـــة للكتـــاب، الجزائر، 1986م.

18-عزوي محمد الطاهر: **الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي**، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر)، 1999م .

19-عميراوي احميده: **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة (الجزائر)، 142هـــ/2007م .

20-عميراوي احميده وآخرون: **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)**،دار الهدى للطبعة والنشر ،عين مليلة(الجزائر)،2009 م.

21-مرموري حسن: **التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشـــرين**، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010م .

22-مياسي إبراهيم: **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1834**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م.

23-مياسي إبراهيم: **توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائـــري 1881-1912**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996م .

24- وعلي محمد الطاهر: **التعليم التبشيري في الجزائـــر (1830م-1904م)دراســـة تاريخيـــة تحليلية**، منشورات دحلب، الجزائر، 1997م.

ب/- المراجع الأجنبية :

1-André Marie: **L'emit Du Grand Desert**, Le Pére De Foucanld Imprimerie Fournir Tonlonse, 1973.

2-Bazin René : **Charles De Foncanld Explorateur Du Maroc-Ermite Au Sahara**, Plon(Paris), 1921.

3-Bernard Augustin, N.Lagroix: **Historique Penetration Sahrienne**, Giralt. Imprimeur Photograveur, Alger, Mustapha, 1900.

4-Brosselard M.Henri: **Les Deux Missions Flatters An Pays Des Tonreg Azdjer Et Hoggar**, Bibliotheque Instructire,Paris, 1889.

5-Castillon Marguerite: **Charles De Foucauld**, Bernard Grasset, Paris (Franse), Décembre ،1982.

6-Chatelard Antojne: **La Mort De Charles De Foucanld**, Edition Karthala, Parice(France),2000.

7-Gagnon Michel: **Aperçu sur l'histoir de la Mission au Sahara** , fascicule 3, Jeanne borotra , vie de «paroissienne » a Metlili des chaanba de 1953a 1962 (Jeanne Borotra) , denise Crambes , Mimi Vercoustre), laghouat(Algerie), 2000.

8-Gagnon Michel:**Aperçu sur l'histoire de la Mission au Sahara** ,Fascicule 3,Qulque notes de Synthèse sur la prèsence de l'Eglise à l'Laghouat , Laghouat (Algèrie) ,2000,p45.

9-Gorrée George: **Sur Les Traces De Charles De Foucauld**, Nouvelliste Lyon.

10-Gorrée Georges: **La Vérité Surl'assassinat Du Pére De Foucauld**, Editions Felix Moncho, Rabat (Maroc), 1941.

11-Grevin Emmanuel: **Voyage Au Hoggar**, LibrairieStock, Paris (France), 1936.

12-Lesourd Paul: **La Vraie Figure Du Pére De Foucauld**, Flaumarion, Paris, 1938.

13-M'bokoto Elika: **Des missionaires aux explorateurs**, **les européens en afrique**, paris, 1978.

14-Merad Ali: **Charles De Foucauld Au Regard De L'islam**, 1975. Paris, 1939, P 39.

15-Pillet (PB)Denys: **Repères pour l'histoire de Ouargla 1872-1992**, Traduction arabe de Ali Idder, Achevè d'imprimer , Janvier1993.

16-poirier Léon : **charles de foucauld et l'appel du sillense**, propriété des editeurs, France, 1938.

17-Pottier R.: **lavigerie a port et civilisateur**, imp, E, pigelet, paris, 1974.

18-Pottier René: **La Vocation Saharienne Du Pére De Foncanld**, Plon,

serpette Maurice: **foucauld ou Désert**, dexlée de brouver, france, janver 1997.

4-الرسائل الجامعية :

1-بن سلمة محمد وعيدي عادل: **التنصير في الجنوب الشرقي الجزائري (1870-1930)**،مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف ،عبد القادر قوبـــع، كلية الآداب واللغات والعلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعـــة زيان عاشور بالجلفة، 1433هـــ-1434هـــ/2012م-2013م.

2-الحاج محمد الحاج ابراهيم: **نشاط المؤسسة التنصـــيرية في الصـــحراء الجزائريـــة 1868م-1912م** (مزاب والهقار نموذجا)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف ،أ.د/فاطمة الزهراء قشي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتـــوري قسنطينة، 1433هـــ/2012م.

3-حني محفوظ : **الإرساليات التنصيرية في الصحراء الجزائريـــة-غردايـــة نموذجـــا-(-1976 1874)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص تاريخ حديث ،إشـــراف :د/صـــالح بوسليم ،أ/محمد سعيد بوبكر ،كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ،قسم العلوم الإنسانية ،شعبة التاريخ ،جامعة غرداية ،الموسم الجامعي1434-1435 ه/2013-2014م

4-خليل كمال: **المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر،التأســـيس والتطـــور(1850م-1951م)**، رسالة ماجيستر، تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة منتـــوري قســـنطينة، 2007م-2008م.

5-داود عمر سكوتي وزينب عيسى أوعيسى : **الهوية الثقافية الجزائرية والمراكز التعليمية للآبـــاء البيض**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس في علم الاجتماع، تخصص تربـــوي، المركـــز الجـــامعي غرداية، 1429هـــ-1430هـــ/2008م-2009م.

5-المقالات :

أ/باللغة العربية :

1-أبو عمران الشيخ: "**الأسقف لافيجري ونشاطه التبشيري في وادي شـــلف 67-1892م** "، مجلة الأصالة ، ع83-84، س9، مجلة ثقافية تصدرها وزارة الشؤون الدينية، شـــعبان –رمضـــان 1400هـــ/جويلية-أوت 1980م، الملتقى الرابع عشـــر للفكـــر الاســـلامي، 20-27شـــوال 1400هـــ/31أوت -7سبتمبر 1980م، الجزائر، ص57.

2-أبو عمران الشيخ: "**شارل دي فوكو في تمنرست 1905-1916**"، مجلة الثقافـــة، ع 76، س 13، مجلة تصدرها وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيـــة، الجزائـــر، رمضـــان-شـــوال 1403هـــ/جويلية، أوت 1983م .

3-أبوعمران الشيخ: **شارل دي فوكو في تمنراست**، المجلة التاريخية المغربية، للعهد الحديث والمعاصر، ع17 18، س 7، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، جانفي 1980م .

4-بوباية عبد القادر: **"دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية"** ، مجلة عصور ،ع 4-5 ،س3 ،مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي ،الجزائر، ديسمبر 2003- جوان 2004 /1424- 1425ه.

5-البوعبدلي المهدي: **"الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحـــي"**، مجلـــة الأصالة، ع8، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قســـنطينة (الجزائر)، 1392هـــ/1973م، ص 312.

6-بوعزيز يحي: **"انتفاضة التوارق بآزجر والهقار (1916-1919م)**، مجلة الثقافة، ع 93، السنة 16، شعبان-رمضان 1406هـــ/ماي-جوان1986م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائـــر، 1986م

7-بوعزيز يحي: **"اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء"**، مجلة الثقافة، العدد 57، وزارة الثقافة، الجزائر، 1980م.

8-الجنجاني الحبيب: **"حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القـــرن التاســـع عشر"**، مجلة الأصالة، العدد16، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعـــة البعث، قسنطينة (الجزائر)، 1393هـــ/1973م.

9-حباسي شاوش: **"من مظاهر الروح الصليبية في الاســـتعمار الفرنســـي بـــالجزائر 1830م-1962م "**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، 1417هـــ/1997م.

10-عبد السلام بوشارب: **"شارل دي فوكو ودسائس الاستعمار في منطقة الهقـــار"**، مجلـــة أول نوفمبر، ع 161، طبع بمطبعة هومة، الجزائر، 1999م .

11-العراقي عز الدين: **"شارل دي فوكو وهب حياته لتنصير المغرب العربي خدمة للإســـتعمار"**، مجلة البينة، ع 8، س 1، مجلة تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الإسلامية، الرباط (المغـــرب)، رجب 1382هـــ/ديسمبر 1962م.

12-الفاسي محمد: "**التبشير وخطره على التماسك الاجتماعي للمسلمين**"، مجلة الأصالة، ع 16، س 3، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة (الجزائر)، شعبان-رمضان 1391هـ/ سبتمبر أكتوبر 1973م.

13-مربوش أحمد: **التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري ورد فعل سكان الهقار 1916م**"، مجلة المصادر، العدد 11، السداسي الأول، 2005م.

14-مرموري حسن:"**مصادر الإستراتيجية الاستعمارية اتجاه توارق آزجر وأهقار الأب فوكـــو منصرا**"، مجلة رفوق، العدد الأول، مجلة يصدرها مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، جوان 2013.

ب/باللغة الأجنبية:

1-Grammont: "**le colonel flatters** "، Revne Africaine, no 26, 1882

2-Un vieux père du desert: **el Golèa Sicut palma florebit**، Reveue Grand Lacs, Reveu Mensuelle des Missionnaires d'Afrique ,Edition 1.53eme annèe, N ،5-6, paris (France), 1937 .

6-الملتقيات:

1-بوعزيز يحي:"**اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال مـــا كتبـــوه ومـــدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها**"، الملتقى الثالث عشر للفكـــر الإســـلامي، وزارة الشـــؤون الدينية، تامنراست، 1399ه/1995م .

2-الكعاك عثمان: "**التبشير والتخطيط التبشيري**"، المجلد الثالث، الملتقى السابع للفكر الإســـلامي منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1395هـــ/1973م.

7-المعاجم :

1-بن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصـــري المتـــوفي ســـنة 711هـــ: **لسان العرب** ،تح، عامر أحمد حيدر، مراجعة، عبد المنعم خليل ابراهيم ،مج4، ط2، دار الكتب العلمية ،بيروت (لبنان) ،2009م.

2-الحموي ياقوت: **معجم البلدان**، ج4،دار صادر، بيروت، 1955.

8-المقابلات الشفوية :

مقابلة مع الأب لوك (LOUC): المركز الثقافي للوثائق الصحراوية، غرداية، يوم 07 مارس 2016م على الساعة 45 : 9 صباحا .

فهرس المحتويات

فهـــــــرس المحتويـــــــــات	
إهداء	
كلمة شكر	
قائمة المختصرات	
مقدمة	8-2
الفصل التمهيدي:اهتمامات الفرنسيين بالصحراء الجزائرية	
1-الإهتمامات الأوروبية في الصحراء الإفريقية الكبرى خلال القرن 19	14-10
2-البعثات الإستكشافية والغزو الإستعماري للصحراء	22-14
3- مشاريع خطوط السكك الحديدية للنقل الصحراوي	26-22
الفصل الأول :السياسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية	
1-النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867-1892م)	**39-28**
أ- شخصية الكاردينال لافيجري	31-28
ب- نشاطه التنصيري في منطقة القبائل	35-31
ج- امتداد نشاطه التنصيري إلى الصحراء الجزائرية	39-35
2-نماذج من نشاط فرقة الآباء والأخوات البيض	47-39
أ- التعريف بجمعية الآباء والأخوات البيض	41-39
ب- وصول الآباء والأخوات البيض الى ورقلة وتقرت	43-41
ج- تنصيب الآباء والأخوات البيض في ميزاب والمنيعة	46-44
د- وصول الآباء والأخوات البيض الى عين صالح والهقار.....	47-46
3-ميادين نشاط الآباء والأخوات البيض.....	55-47
أ- مدارس التعليم العام	50-47
ب-مدارس التكوين المهني والنشاط الفلاحي	53-50
ج- المهام الطبية وتربية الأيتام	55-53
الفصل الثاني :شارل دي فوكو حياته وآثاره	
1-مولده ونشأته	58-57

2–حياته العلمية والعسكرية	65-59
أ- حياته العلمية	60-59
ب–حياته العسكرية	65-60
3–رحلاته	74-65
أ–رحلته إلى المغرب	72-66
ب- رحلته إلى الجنوب الجزائري.....	72-72
جـــ- عودته إلى الوطن الأم فرنسا.....	73-72
د- رحلته إلى بلاد الشام.....	74-73
4–مخلفاته وآثاره	77-74
الفصل الثالث :النشاط التنصيري لشارل دي فوكو في الصحراء الجزائرية	
1–مبادئ شارل دي فوكو التبشيرية الإستعمارية	82-79
2–إستقرار دي فوكو واندماجه في المجتمع الصحراوي	97-82
أ–إستقراره في بني عباس1901-1903	87-83
ب- أسباب ودوافع استقراره في الهقار	89-87
جـــ- إستقرار شارل دي فوكو في الهقار	97-89
3–سياسة التنصيرية والإستعمارية في الصحراء	104-97
4–رد فعل سكان الهقار ونهايته	107-104
خاتمة	111-109
الملاحق	130-113
البيبليوغرافيا	141-132
فهرس المحتويات	144-143